ملف خاص بصوت البصرة

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية والنشر
الجمهورية العراقية

المجلد الرابع عشر - العدد الثالث ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٣

WWW.ATTAWEEL.COM

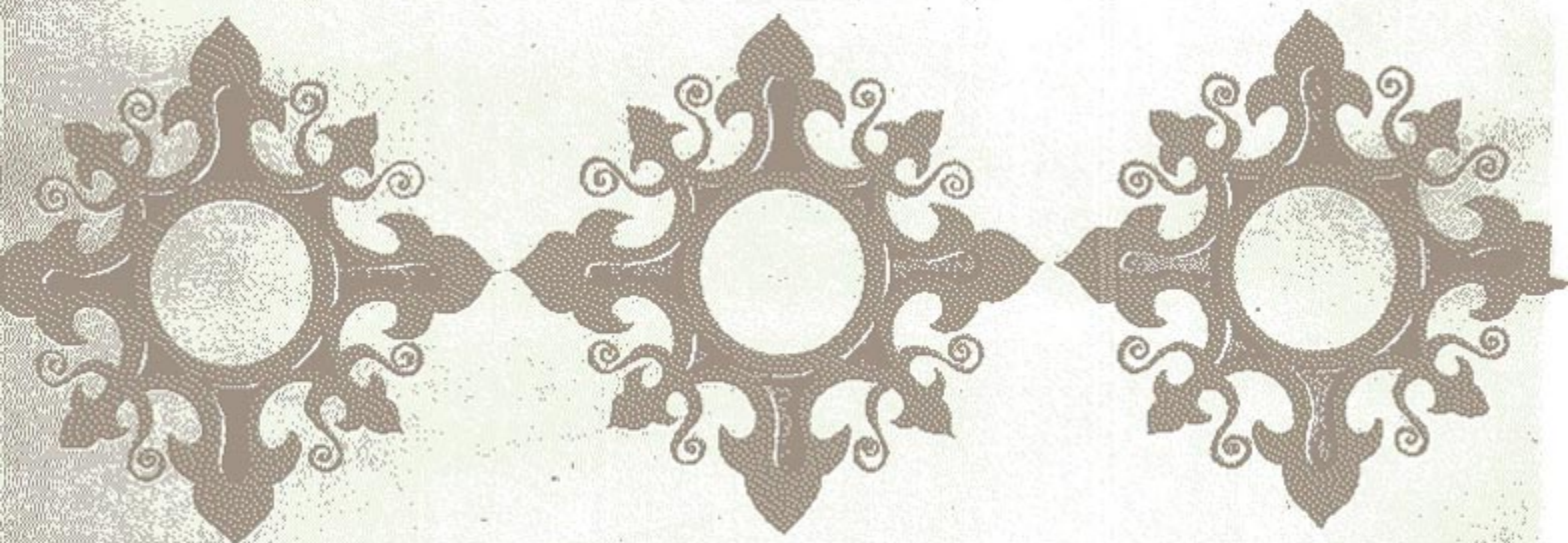

أسعد الحكيم محمد

أبو علي النحوي والدراسات الصوتية

الدكتور
علي جابر المنصوري
الاستاذ المساعد في كلية الشريعة
جامعة بغداد

قبل البدء

ابو علي هو الحسن بن احمد بن عبدالغفار بن سليمان بن ابان . ولد في الغالب عام (٢٨٨ هـ / ٨٤٣ م) من اب فارسي وام عربية من سدوس بني شيبان . مكث في بلاد فارس تسعة عشر عاما . ثم انتقل الى بغداد عام (٣٠٧ هـ) لطلب العلم . وفي العراق تتضح حياته ، وتتوجه اليه الانظار ، ويطوف ارجاء البلاد يكتب ويؤلف ويحاضر ، فكانت له مؤلفات ، قرنت باسماء قسم من المدن التي حل فيها كالبصريات التي الفها في البصرة ، والهيتيات التي الفها في (هيت) .

وانتقل الى الموصل ، وفيها التقى بتلميذه ابن جني حيث بقي زمنا ثم توجه الى حلب ، والتحق ببلاط سيف الدولة الحمداني ، فاكرم وفادته . وطاف في بلاد الشام ، فمضى الى طرابلس ، وزار المعرة ، واقام بحلب فظفرت منه بالمسائل الحلبيات ، ثم رجع ابو علي الى بغداد سنة (٣٤٦ هـ) ، واستمر مستوطنها حتى سنة (٣٤٨ هـ) ثم غادرها الى بلاد فارس . وصحب عضد الدولة ، وصنف له كتابي الايضاح والتكملة، وعلمه النحو حتى قال : « انا غلام ابي علي في النحو »(١) .

غير ان بغداد تجذبه اليها لما فيها من مغريات علمية ، ومنافسات بين علمائها وادبائها فيعود اليها سنة (٣٦٨ هـ) ويتخذها موطنا له حتى وفاته سنة (٣٧٧ هـ) .

الف ابو علي اكثر من اربعين كتابا في النحو واللغة ، قمنا بتحقيق اكثر من خمسة منها . كما ان هناك كثيرا من العلماء والباحثين حققوا له كتبا مهمة منهم الدكتور عبدالفتاح شلبي ، والدكتور كاظم بحر ، والدكتور حسن شاذلي فرهود ، والدكتور محمد حسن اسماعيل ، والباحث صلاح السنكاوي . واود ان اشير هنا الى ان بحثي هذا لم يسبق ان تطرق اليه احد من الباحثين ، كما انني لم يسبق لي ان تناولته في دراساتي السابقة التي تناولت فيها دراسة كتبه مثل الشيرازيات ، والعسكريات ، وكتاب الشعر ، واقسام الاخبار ، والعضديات ، فهو بحث جديد بكل ما فيه من معنى الجدة من بين الدراسات التي تقدمت . وارجو من الله التوفيق .

(*) النجوم الزاهرة ٤/١٥ .

WWW.ATTAWEEL.COM

القسم الاول

الحروف واصواتها

معنى الحرف :

الحرف كلمة شملت معاني كثيرة منها «الحرف من حروف الهجاء ... ومنها الحرف : الاداة التي تسمى الرابطة لانها تربط الاسم بالاسم ، والفعل بالفعل ... ومنها الحرف : : القراءة .... ومنها الحرف : الطرف ... »(١) .

ومن هنا ندرك ا ن كلمة ــ الحرف ــ كانت في معناها غير مستقرة في عصر الخليل ، والعصور التي تلت . فقد دلت على معاني كثيرة منها هذا الذي هو موضوع حديثنا حيث نقصد به (صوت الهجاء) .

ويرجع استخدام لفظة (الحروف) هذه بهذا المعنى الاصطلاحي الى الخليل بن احمد الفراهيدي فيما « ... الفه ... من حروف ا . ب . ت . ث ... » (٢)

في ترتيب كلمات معجم العين .

دلالة الحرف وصورته : ان مصطلح الحرف يدل تارة على الصوت اللغوي المنطوق ، وتارة على الحرف المدون المرئي ، او بمعنى ادق ان « ... مصطلح الحرف يدل على الرمز المدون ، وعلى نطقه دون تمييز بين » (٣) الصورة والصوت غير ان الجانب ــ الصوتي ــ هو الذي يؤلف اللغة المنطوقة التي يتحدث بها الناس . وهو عبارة عن اصوات « ترتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا فهي ــ ! الاصوات ــ تكون نظاما متجانسا ... تنسجم اجزاؤه كلها فيما بينها . وهذه هي اول قاعدة من قواعد الصوتيات ، وهي ذات اهمية قصوى لانها تثبت ان اللغة لا تتكون من اصوات منعزلة بل من نظام من الاصوات »(٤) . يجري على اساس من الحركات والسواكن .

اما الجانب الآخر ؛ فهو صور الحروف المكتوبة التي يتكون من اشكالها المختلفة نظام الخط العربي بطرقه المتعددة .

(١) اللسان (حرف) ٩/٤٠ـ٤١ .
(٢) العين ١/٤٧ .
(٣) انظر / قضايا في علم اللغة ١٠٣ . وقواعد اللغة العربية، ١ ـ ٧ .
(٤) اللغة /٦٢ . وانظر / مدرسة الكوفة ١٦٦ـ١٧٨ (الدراسة الصوتية) .

من اجل ذلك تكون للحروف ميزتان اثنتان . احداهما (الصوت) ، والاخرى (الصورة) ،

اما من ناحية الصوت ، فله ميزتان اثنتان ايضا احداهما صوته حينما يندرج مع غيره والثانية : اسمه اذا ما قصد به الكناية عن مسماه فانت « ... لو لفظت بالدال من قد ، والباء من اضرب ، لقلت : آب ، آد ، فاجتلبت همزة الوصل كما اجتلبوها في : آذهب ، وآقتل ، وآضرب »(٥) .

فالنص المتقدم يشير فيه ابو علي الى كيفية نطق صوت الحرف ، واسمه ، فاذا اردت صوته، قلت : (آب) مثلا ، واذا اردت اسمه ، قلت (باء) ، وهكذا بالنسبة لبقة الحروف .

واسمه هذا يعني الحرف ، ويعني الاسم ايضا « ... فمن قال : زي فهو اذا جعلها اسما شدد ، فقال زيّ . واذا جعلها حرفا ، قال : زي على حرفين مثل : كي ... »(٦) .

اعجام الحروف : « العجم : النقط بالسواد ... يقال اعجمت الحرف ، والتعجيم مثله ... وحروف المعجم : هي الحروف المقطعة من سائر الحروف ... ومعنى حروف المعجم ، اي حروف الخط المعجم ... وعجم الكتاب وعجمه ... نقطه ... »(٧) .

يتضح مما تقدم ان الاعجام يعني تنقيط الحروف بنقاط بقصد ازالة الابهام عنها وقد اقدم العلماء الاوائل على هذه الخطوة منذالبداية، وكان نصر بن عاصم الليثي ــ احد تلامذة ابي الاسود ٦٩هـ ؛ سباقا الى هذا العمل حيث توصل : « الى طريقة الاعجام التي تتميز بها الحروف الهجائية بعضها من بعض . فقد رتب الحروف جماعات ووضع كل حرف الى جانب الحرف الذي يشبهه في الصورة ، وميز الحروف المتشابهة بالنقط . وخالف بين هذه النقط افرادا وازواجا ، وغاير بين مواضعها ، فوضع بعضها فوق الحرف وبعضها تحت الحرف ، واتم هذه العملية التي سميت اعجاما ... »(٨) . وبذلك العمل اصبح بعض الحروف منقوطا ، واصبح

(٥) الشيرازيات / المسالة ١٥٦/٤٠ ب ، والكتاب (بولاق) ٦٢/٢ ، وسر صناعة الاعراب ٧/١ .
(٦) المخصص ٥٢/١٧
(٧) اللسان (عجم) ٣٨٨/١٢ـ٣٨٩ .
(٨) الخليل بن احمد الفراهيدي / ٢٠ .

بعضها الآخر عاريا من النقط وهذا الحد يعتبر تمييزا لكلا القسمين . فلا بأس ان نصطلح كلمة (اعجام) لكلا النوعين ؛ فيكون تبيانا ـ اي الاصطلاح ـ وتمييزا لهما ـ كما يرى ابو علي ـ « فان قيل : ان جميع هذه الحروف ليس معجما ؛ وانما المعجم بعضها . الا ترى انّ الالف ، والحاء ، والدال ، ونحوها ليس معجما ؛ فكيف استجازوا تسمية جميع هذه الحروف حروف المعجم ؟ . قيل : انما سميت بذلك لان الشكل الواحد اذا اختلفت اصواته فاعجمت بعضها ، وتركت بعضها ، فقد علم ان هذا المتروك بغير اعجام هو غير ذلك الذي من عادته ان يعجم ، فقد ارتفع اذن بما فعلوه الاشكال ؛ والاستبهام عنها جميعا ؛ ولا فرق بين ان يزول الاستبهام عن الحرف باعجام عليه ؛ او بما يقوم مقام الاعجام في الايضاح والبيان . الا ترى انك اذا اعجمت الجيم بواحدة من اسفل ، والخاء بواحدة من فوق ، وتركت الحاء غفلا ، فقد علم باغفالها انها ليست واحدة من الحرفين الآخرين اعني الجيم والخاء ، وكذلك الدال والذال ، والصاد ، والضاد ؛ وسائر الحروف نحوها ، فلما استمر البيان في جميعها ؛ جازت تسميته بحروف المعجم »(٩) .

اصوات الحروف (بين المخارج ، والصفات ، والتآلف (١٠)

١ ـ مخارج بعض الاصوات

الصوت هوالاثر الواقع على الاذن من بعض حركات ذبذبية للهواء ، يحدثها الجهاز الصوتي للمتكلم .

(٩) انظر سر صناعة الاعراب ١/٤٤ـ٤٥ . قال ابن جني في هذا النص « وهذا كله راي ابي علي وعنه اخذته » .

(١٠) انظر اهم المصادر وهي :
١ ـ مؤلفات ابي علي الفارسي .
٢ ـ العين ١/٥٧ـ٥٨ (في العربية تسعة وعشرون حرفا) .
٣ ـ الكتاب (هارون) ٤/٤٣١ـ٤٣٦ « باب عدد الحروف العربية ومخارجها ، ومهموسها ، ومجهورها ، واطوال مجهورها ، ومهموسها واختلافها » .
٤ ـ المقتضب ١/١٩٢ـ١٩٦ (باب مخارج الحروف) .
٥ ـ سر صناعة الاعراب ـ ابن جني ١/٤٦ـ٧٧ .
٦ ـ قضايا في علم اللغة العربية ـ الباب الثاني : الاصوات ٦٠ـ١٢٧ ـ الدكتور محمود حجازي .
٧ ـ اللغة ـ فندريس .
٨ ـ الدراسات اللهجية .

والعلم الذي يبحث في الاصوات يسمى علم الصوتيات الذي يحتوي على ثلاثة اشياء هي : انتاج الصوت ، وانتقاله ، واستقباله ، والذي يعنينا في بحثنا هذا هومواطن اصدار هذه الاصوات التي تسمى الحروف . وكذلك صفاتها ـ اي الحروف ـ وائتلافها فيما بينها .

لقدشغل كثير من العلماء في دراستها ، وكان الخليل بن احمد الفراهيدي في طليعة هؤلاء . ثم تتابع اللاحقون من بعده من العلماء باذلين جهودا محمودة في دراسة هذه الاصوات (الحروف). وكان من بينهم ـ في القرن الرابع الهجري ـ ابو علي الفارسي الذي شملت جهوده مختلف جوانب اللغة ، ومنهادراسة الحروف التي عقدنا لها هذه الدراسة المفصلة من خلال ما وصل الينا عنه .

اصوات الحلق عند ابي علي :

حروف الحلق ـ كما يرى الخليل :

« ... تبتدىء بالعين ، وتنتهي بالخاء ، وما بينهما ثلاث مدارج هي : مدرجة الحاء التي تلي العين ، وتكون بلزقها ، ومدرجة الهاء التي تلي الحاء ،وتكون بلزقها ، ومدرجة الغين وترتيبها عنده ـ اي الخليل ـ العين ـ الحاء ـ الهاء ـ الغين ـ الخاء ... »(١١) .

ويرى سيبويه ان للحلق منها ثلاث مدارج : « فاقصاها مخرجا : الهمزة ، والهاء ، والالف ، ومن اوسط الحلق مخرج العين والحاء ؛ وادناها مخرجا من الفم : الغين والخاء »(١٢) . ونلاحظ من ذلك ان اقصى الحروف عند الخليل هو صوت (العين) . وعند سيبويه صوت (الهمزة) . فيكون تدرج اصوات الحلق عند الخليل هو (العين ـ الحاء ـ الغين ـ الخاء) حيث يقابلها عند سيبويه الهمزة ـ والهاء ـ والالف ـ والعين ـ والحاء ـ والغين ـ والخاء) .

ويقر ابو علي تقسيم سيبويه حيث يرى ان الالف والهاء من مخرج واحد :

ذلك لان الالف تبدل الى « ... الهاء لمقاربة الالف لها وكونها من مخرجها »(١٣) .

(١١) الخليل بن احمد الفراهيدي ٩٩ وانظر ، العين ١/٥٧ . والجمهرة ١/٨ـ٩ .
(١٢) الكتاب (هارون) ٤/٤٣٣ .
(١٣) العضديات ١٥ ب .

كما يرى ان التضعيف في « ... حروف الحلق ... »(١٤) هذه قليل ؛ وذلك لعمق مخارج هذه الاصوات . هذا العمق الذي يؤدي الى ثقل هذه الاصوات ؛ وبالتالي الى قلة الكلمات التي تكون فيها العينات واللامات من حروف الحلق(١٥)

ثم يضيف ابو علي الى حروف الحلق حرفين آخرين ـ بالاضافة الى ما تابع به سيبويه ـ هما :

آ ـ القاف : صوت يدخل « في حروف الحلق ... »(١٦) . وهو عند الخليل لهوي (١٧) . وعند الدارسين المحدثين من اقصى حروف الحنك (١٨) . يكون مجهورا احيانا ، ومهموسا احيانا اخرى .

ب ـ الكاف : « ... حرف من حروف الحلق ... » (١٩) ينطق مهموسا غير مطبق وعند المحدثين من اصوات اقصى الحنك مثل القاف (٢٠) يكون اصلا وبدلا . تقول : « ... اعرابي" كحّ" ، واعرابية" كحة . تريد: قحّ" وقحة" ... »(٢١) .

والصوتان ـ اي القاف والكاف ـ لهويان من اقصى الحنك ، ويكون القاف من اقصى الحنك الاعلى ، ويكون الكاف من اسفله(٢٢) .

يتبين مما تقدم ان ابا علي كان قد تفرد برايه في هذين الحرفين ؛ باعتبارهما من حروف الحلق.

٢ ـ تقارب المخارج ، والابدال في الاصوات

اصل القلب في الحروف ـ اساسا ـ ينشأ من تقارب مخارج اصواتها . هذه هي القاعدة العامة ـ عند ابي علي ـ فاذا تقاربت في المخارج ، قلب احدها الى الاخر ، واذا تباعدت قل فيها القلب ؛ لذلك لا يكون ابدال بين (الحاء) الثاء

(١٤) المضديات ٦ ا ، ب .
(١٥) المضديات ٥٦ ب .
(١٦) المضديات ٦ ا ، ب .
(١٧) انظر / العين ٥٨/١ ، والخليل ابن احمد الفراهيدي ١٠١ .
(١٨) قضايا في علي اللغة /٩٢ .
(١٩) المضديات ١٠٠ ب .
(٢٠) قضايا في علم اللغة / ٩١ .
(٢١) سر صناعة الاعراب ٢٨٠/١ .
(٢٢) العين ٥٨/١ والكتاب (هارون) ٤٢٣/٤ .

لانهما تباعدا في المخرجين . فقول : « ... من ذلك في قول تأبط شرا » :

كأنمـا حثحثوا حصّا قوادمـه
او ام خشف بذي شث وطبـاق

انه اراد : حثثوا فابدل من الثاء الوسطى حاء فمردود ... والعلة في فساده ـ عند ابي علي ـ .. ان اصل القلب في الحروف انما هو فيما تقارب منها ، وذلك الدال والطاء ، والثاء والذال، والفاء والثاء والهاء والهمزة ، والميم والنون ؛ وغير ذلك مما تدانت مخارجه . فأما الحاء ، فبعيدة من الثاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب احداهما الى اختها ... »(٢٣) ولهذا السبب نجد (تاء) الافتعال في صيغة (افتعل) تبدل لتوافق الحرف الذي يليها ، او الذي يقع قبلها . فاذكر ـ مثلاً ـ « ... ابدل ـ فيه ـ من تاء الافتعال التي في نحو : اجترح الدال ليوافق الذال في الجهر ، كما ابدلت منها الدال في افتعل من الزاي فقالوا:ازدان ليوافق الزاي في الجهر .ومن قال : مشّرد في مفتعل من الشريد ، قال مُدكر وقال : مزان في مزدان ، ونظير هذا الابدال في تاء الافتعال ابدالهم الطاء في نحو : اضطجع ليوافق الضاد في الاطباق . ولم يقولوا : اضتجع ، ولا اذتكر ؛ ورفضوا ذلك من كلاميم ليوافق ما بعده في الجهر والاطباق » (٢٤)

٣ ـ عودة الاصوات الى اصولها

ونعني بذلك رجوع الحروف ـ اذا كانت في اواخر الكلمات ـ محذوفة ـ الى كلماتها . او رجوعها الى اصولها اذا كانت مقلوبة . ولعل معترضا يعترض فيقول :

« لم جرت الاشياء في الوصل على حقائقها، دون الوقف ؟. قيل : لان حال الوصل اعلى مرتبة من حال الوقف . وذلك ان الكلام انما وضع للفائدة ، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة ؛ وانما تجنى من الجمل ؛ ومدارج القول فلذلك كانت حال الوصل عندهم اشرف واقوم واعدل من حال الوقف ... »(٢٥) .

(٢٣) سر صناعة الاعراب ١٩٦/١-١٩٧ وانظر / الفارسي ومذهبه اللغوي مجلة كلية الامام الاعظم ١٩٧٨ ـ العدد ٣٥٢/٤-٣٥٦ .
(٢٤) المضديات م ٤٢/٤٣ ا .
(٢٥) الخصائص ٣٣١/٢ . والفارسي ومذهبه اللغوي في الشيرازيات مجلة الامام الاعظم سنة ١٩٧٨ م ـ العدد ٣٥٤/٤-٣٥٦ .

وهذا يعني ـ عند ابي علي الفارسي ـ ان الاصوات في حال الوصل ؛ تأخذ مجراها الحقيقي. فتعود ان كانت محذوفة ، وترجع الى اصولها ان كانت معلة ، وتماز ان كانت خفية .

٤ ـ مطل الاصوات (اي امتداد اصواتها)

ان الحركة اذا اشبعت ، مطلت . فنشأ منها حرف لين من جنسها ، وقد يطول هذا الحرف في الصوت احيانا فيمد ايضا (٢٦) . والحروف التي تمد (تمطل) هي حروف اللين الثلاثة المصوتة (الالف ، والياء الواو) وقد تمد باشباع في ثلاثة مواضع : احدها : ان تقع بعدها همزة . والثاني : ان تسبق بحرف مشدد . والثالث : ان يوقف عليها(٢٧) . ومثال ما سبق الهمزة : كساء ، ورداء ، وخطيئة ، ورزيئة ، ومقروءة ، ومخبوءة. وانما اشبع المد في هذه الحروف مع الهمزة لان « ... الهمزة ـ حرف ـ نأى منشؤه ، وتراخى مخرجه ، فاذا انت نطقت بهذه الاحرف المصوتة قبله ، ثم تماديت بهن نحوه ، طلن وشعن في الصوت فوقين له ، وزدن في بيانه ، ومكانه ، وليس كذلك اذا وقع بعدهن غيرها ، وغير مشدد ... »(٢٨) .

واما سبب اشباع هذه الحروف ـ اذا وقع المشدد بعدها ـ فلانها ـ اي الحروف ـ تسكن ويكون اول المثلين مع التشديد ساكنا ، وهم لا يستسيغون ان يلتقي ساكنان حشوا من اجل ذلك ينطقون الالف : « ... بقوة الاعتماد عليها فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضا مما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها ... نحو : شابةٍ ، ودابةٍ ، وهكذا قضيب بكر وقد تمود الثوب ..»(٢٩). وكذلك اذا وقف عليها

٥ ـ القلب والبدل بين الاصوات

لا نقصد بالقلب هنا ، القلب المكاني الذي يكون من تبادل حروف الكلمة في المواضع ، وانما نقصد به انقلاب الحروف اللينة الثلاثة ـ الالف ، والواو ، والياء ـ من بعضها الى البعض الآخر : وهو ما يشمل جزءا من الاعلال ، لان الاعلال يعني انقلابها ، وحذفها ، واسكانها ، ولا يكون ذلك ـ اي الاعلال ـ اذا سكنت هذه الاصوات . اذن قضية اعلالها متعلقة بتحريكها الذي يجعل منها صوائت .

وقد عالج ابو علي هذا الجانب في كثير من دراساته ومسائله ، وكتبه ، ولا نريد هنا ان ندخل في التفصيلات فيما كتبه ، انما نود ان نلمح اليه ـ اي ما كتبه ـ لمحا لنبين ما لهذا العالم من باع طويل في مثل هذه الدراسات التي سبق اليها تلميذه ابن جني . ولا ادري لماذا اختار الدكتور حسام النعيمي ان يدرس الاصوات واللهجات عند ابن جني قبل ان يختار دراستها عند استاذه ابي علي ؟ . علما ان ما كتبه التلميذ في اغلبه ـ انما هو نقل ، او رواية عن استاذه ابي علي او هو تحليل لما صدر عنه . ثم لا ادري لماذا اغفل ذكر جهود الاستاذ ـ عند دراسة اثار التلميذ ؟ . وكان يجب عليه على الاقل ـ ذكرها ؛ اعترافا منه بفضل المتقدمين . ومهما يكن الامر ، فان الفارسي يعد ـ بحق ـ مؤسس هذا النوع من الدراسات الصوتية واللغوية حيث جعلها علما مستقلا منفصلا بذاته عن بقية العلوم اللغوية الاخرى .

آ ـ القلب :

ان هناك فرقا بين مايسمى لهجة ، وتطورا في الاصوات، وبين ما يسمى قلبا ناتجا من التغييرات الصوتية . من اجل ذلك علينا ان نميز « ... تلك التي تحدث بالاستبدال من تلك التي تحدث بالتطور »(٣٠) .

وحد القلب : ان تصير حروف العلة على نقيض ما كانت عليه « ... فكأن الحرف نفسه انقلب من صورة الى صورة ، اذا قلت : قام . والاصل : قوم ، فكأنه لم يؤت بغيره بدلا منه لان شدة المقاربة للنفس بمنزلة النفس ... »(٣١) ان حروف العلة احق بالابدال من غيرها من الحروف الصحيحة لثلاثة اسباب :

ـ كما يرى ابن سيده ـ هي : « طلب الخفة والكثرة ؛ والمناسبة بين بعضها وبعض من جهة انه

---

(٢٦) انظر / الدراسات اللهجية والصوتية : الفصل الرابع (الحرف والحركة) ٢٢٥ـ٢٣٨ . والاشباه والنظائر ١٦٣/١ .

(٢٧) انظر / الفارسي ومذهبه اللغوي في الشيرازيات / مجلة كلية الامام الاعظم / ١٩٧٨ العدد) ٢٥٥/ـ٢٥٦ . والخصائص ١٢٤/٣ .

(٢٨) الخصائص ١٢٥/٣ . والعسكريات (باب الاعراب والبناء) ١٤٥ ـ ١٧٢ .

(٢٩) الخصائص ١٢٦/٣ . وانظر / الشيرازيات ٩/١ـ٢٣ (المسالة الاولى القول في حروف اول) .

(٣٠) اللغة /٧٥ .

(٣١) المخصص ٢٦٧/١٣ . وانظر / اللغة العربية معناها ومبناها ٢٥٧ـ٢٧٧ (الاعلال والابدال) .

يتمكن بها ، أو ببعضها من أخراج الحروف ، ومن جهة ما فيها من المد واللين ، ومن جهة ماتمكن بها في الشعر من التلحين ، ومن جهة اتساع مخرجها على اشتراكها في ذلك اجمع ، وكل واحد من الثلاثة يطالب بجواز الابدال »(٣٢) .

الاول : اذن طلب الخفة : فاذا كان قلب الواو الى ياء في (ميقات) ـ مثلا ـ اخف من الاصل الذي هو (موقات) ؛ كان اولى منه ، لان الخفة تطلبه لا سيما وان العربية لغة موسيقية تتميز بالخفة لانها سمة من سمات الجمال الصوتي في النطق .

والثاني : الكثرة لان ما كثر كان احق بالتخفيف ولحروف العلة كثرة لم تكن لغيرها ، اذ لا تخلو كلمة من بعض هذه الحروف ، لانك اذا اشبعت الضمة ، صارت واوا ، واذا مطلت الفتحة ، صارت الفا ، واذا مددت الكسرة ، صارت ياء .من هنا كانت الكثرة تطلب التخفيف .

والثالث : المناسبة التي تطلب جواز قلب بعض من الحروف الى بعض من غير اخلال بالكلمة ذلك لان المقارب للحرف يقوم مقام نفس الحرف . فكأنك بذكره قد تذكر نفس الحرف ، وهذا لا يكون بين الحروف المتباعدة .

والقلب في الصوائت كثيرا ما يكون صوتيا طبيعيا دون ان يقصد اليه المتكلم حيث ينزع عن طبيعته طلبا للخفة من غير شعور بذلك . وقد يكون القلب في هذه الحروف لهجة لكلمة معينة دون غيرها فالعرب ـ كما يرى ابو علي ـ كانوا : « يبدلون الواو من الياء في ... الاسماء وصححوها في الصفات نحو : ريا ، وخزيا ، ولو كانت ريا اسما ، لكانت رؤى ، ومثل ذلك قولهم في النجم : العوا ... »(٣٣) .

ب ـ التبادل بين الصوائت والحروف الصحيحة (ما بين الصوائت والاصوات الصحيحة) يحصل تبادل بين الاصوات الصحيحة في ابدال احدها من الآخر ، وكذلك يحصل انقلاب بين الصوائت مع بعضها البعض الآخر ، كما يكون هناك تبادل بين الحروف الصحيحة ، وحروف العلة من ذلك :

(٣٢) المخصص ١٢/٢٦٧ .
(٣٣) المقصديات ، ب و ه ١ .

١ ـ الابدال بين الالف والهمزة .

فابدال الالف همزة يكون ـ كما يرى ابو علي ـ في « ... قولهم : شابّة وَدابّة وانشد

خاطمها زامّتها ان تذهبا

يريد : زامها .. »(٣٤) . لكنه قلب الالف همزة . اما ابدال الهمزة الفا فيكون في مثل « قول عبديغوث :

وتضحك منّي شيخة عبشمية
كأنْ لم (ترا) قبلي اسيرا يمانيا

قال ـ ابو علي ـ : جاء به على ان تقديره محققا .كأن لم ترَأ ... »(٣٥) .

ذلك ان الراء لما كانت ساكنة ، وجاورت الهمزة المتحركة صارت الحركة في التقدير قبل الهمزة على الراء فنطقت ترَا ثم ابدلت الهمزة الفا لسكونها ، وانفتاح ماقبلها ، فصارت (ترا).

ومما سهل هذا الانقلاب هو التقارب بين الهمزة والالف ، فالهمزة صوت شديد من اقصى الحلق يكون محايدا بين الهمس والجهر . وكذلك الالف ، فهو هوائي اجوف من فصيلة الهمزة ومن مخرجها اذ لا حيز لهما ينسبان اليه عند الخليل وهما من اقصى الحلق عند ابي علي (٣٦) . من هنا كانت هذه الانقلابات بين الالف والهمزة نتيجة طبيعية تحصل بسبب حالات صوتية تتعرض لها اللفظة عند النطق بها .

٢ ـ الابدال بين الواو والتاء .

التاء تبدل من الواو لشبهها بها في المقاربة لاتساع المخرج . فالواو صامتة ، خلفية ، نصف حركية ،تنطق دون استدارة الشفتين . والتاء صوت ، اسناني ، مهموس ، شديد ، وهذه الصفة تابعة لمخرجه . وغالبا ما تكون الواو اصلا للتاء في كثير من الكلمات لا سيما اذا كانت الواو في بدايات الالفاظ نقول : تقوى ، وتقية ، وتقاة.

(٣٤) سر صناعة الاعراب ٨٢/١ . وانظر الشيرازيات المسالة (٤٠) ٦٤٠/٢ـ٦٤٧ « باب من ابدال الالف همزة ». واللغة العربية معناها ومبناها /٢٧٥ .
(٣٥) سر صناعة الاعراب ٨٦/١ ، والشيرازيات ٦٤٠/٢ (مسالة ٤٠ باب من ابدال الالف همزة) : وقراءة عمرو بن عبيد في الآية الكريمة « فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان » . وانظر / العسكريات ١٦٤ـ١٦٥ .
(٣٦) انظر / الكتاب (هارون) ٤٣٢/٤ . والعين ٥٧/١ ، واللسان ١٢/١ .

والاصل فيه الواو (٣٧) ؛ لانه من وقيتم والوقاية فلما كثر ابدال التاء منها ـ اي الواو ـ استمر في الكلمة ؛ فقيل تقوى . ويكون ذلك طلبا للخفة لاننا نجد صعوبة اذا قلنا : (وقوى) . وذلك لما في الكلمة من كثرة الحروف الصوائت .

٢ ـ الابدال بين الياء والجيم .

تبدل الياء جيما . وغالبا ما يكون هذا الابدال لهجة بين هذين الصوتين ، اكثر منه قياسا فقد ذكر عن « ... ابي علي ... عن الاصمعي قال : انشدني رجل من اهل البادية :

عمي عويف وابو علجّ
المطعمان اللحم بالعشجّ
وبالغداة كسر البرنجّ

يريد : ابو علي وبالعشيّ ... »(٣٨)

وذلك لان الجيم من الوحدات الصوتية التي تنشا من ادنى الحنك وهي صوت مجهور . ولان الياء صوت امامي ينطق دون استدارة الشفتين ، صامت ، نصف حركي(٣٩) مما جعل هذا التقارب بينهما يؤدي ـ احيانا ـ في بعض اللهجات الى الابدال بينهما ، وبالتالي استسهال الجيم بدلا من الياء .

نخلص من ذلك الى اننا نلمح تبادلا قويا بين الصوامت والصوائت (بين حروف العلة والحروف الصحيحة)وهذا التبادل يكون لهجة احيانا ، ويكون قياسا احيانا اخرى .

ح ـ الابدال :

حدّ البدل : وضع الشيء مكان غيره ، وهو في اللغة وضع حرف مكان حرف اخر من الحروف الصحاح .

وهذاالتغيير يكون في غير حروف العلة ـ كما يرى ابن سيده ـ اذ يجري على « البدل لتباعد ما بين الحرفين ـ في المخرجين ـ فلم يجب ان يجري مجرى ما يتقارب التقارب الشديد بل وجب فيما تقارب ان يقدر انه لم يخرج من التغيير عنه فلذلك اجري على طريقة القلب . فاما ما تباعد فيقتضي الخروج عنه في التغيير ... »(٤٠) . مما تقدم ندرك انّ القلب يكون بين الحروف المتقاربة تقاربا شديدا بحيث يصير احدهما الى الآخر . وهذا لا يحصل الا في الحروف الثلاثة الصائتة (الواو والالف ، والياء) . والابدال يكون بين الحروف المتقاربة تقاربا وسطا بحيث لا يصير احدها الى الآخر بل يعوض عنه .

حروف البدل :

حروف البدل ثلاثة عشر حرفا « في غير ان تدغم حرفا في حرف »(٤١) وهي « ثمانية من حروف الزيادة التي يجمعها قولك : اليوم تنساه. تسقط السين واللام من الحروف العشرة . وخمسة من غيرهن وهي الطاء ، والدال ، والجيم، والصاد ، والزاي »(٤٢) .

واسباب البدل ترتبط ايما ارتباط بالنطق الصوتي الذي يعتمد على التقارب اساسا من اجل الخفة في تلفظ الكلمات والتراكيب ـ في البدايات، والثنايا ، والاواخر ـ « ... فالتاء تبدل من الواو لشبهها بها في المقاربة لاتساع المخرج ، فلذلك جاء تراث وتخمة ، وتقية ، وما اشبه ذلك . ثم النون لانه اشبه حروف العلة فيالترنم بها كالتلحين لحروف العلة . وما فيها من الغنة ، كما في حروف العلة من المد.ثم الميم لانها مواخية للهمزة ، لانهامن مخرجها . وهذه الحروف منحروف الزيادة ، قد بانت مراتبها . ثم الطاء تبدل من التاء في (افتعل) من الصبر . فتقول: اصطبر ، لانها حرف وسط بين حرفين اذ كانت تواخي التاء بالمخرج ، والصاد بالاستعلاء ، والاطباق . ثم الدال تبدل مع الزاي في (افتعل) من الزينة ، فتقول : ازدان ، لانها تواخي الزاي بالجهر ، والتاء بالمخرج . ثم الجيم تبدل من الياء في تميمي ونحوه : تميمج ، لانها تواخي الياء بالمخرج مع الطلب لحرف اجلد من الياء في الوقف اذا كانت الياء تخفى في الوقف لاتساع مخرجها ؛ فابدل منها الجيم ، لانها والياء ، والشين من مخرج واحد ، وهو وسط اللسان ، ثم الصاد تبدل من السين مع الطاء في الصراط ، لانها مع الطاء اعدل من السين فهي تواخي الطاء بالاطباق والاستعلاء وتواخي السين بالمخرج.ثم الزايتبدل من السين في (الزراط) ايضا لانها تواخي الطاء بالجهر وهي من مخرج السين ايضا ، فقد بينت لك حروف البدل ، وعلة الابدال ، ومراقب هذه

---

(٣٧) انظر / المسائل الشيرازيات ٢/٦٤٧ـ٦٥٥ (المسالة ٤١ باب من الكلم التي لحقت اوائلها التاء) .

(٣٨) سر صناعة الاعراب ١/١٩٢ .

(٣٩) انظر / قضايا في علم اللغة ١٠٢ .

(٤٠) المخصص ١٢/٢٦٧ . وشرح ابن عقيل ٤/٢١٠ـ٢٤٨ .

(٤١) الكتاب ٤/٢٢٧ .

(٤٢) المخصص ١٣/٢٦٧ .

الحروف في القوة ، والضعف ليجري كل شيء من ذلك على حقه ... »(٤٢) .

وبعد ان عرفنا ظروف الابدال ، نود ان نشير الى ان الابدال يكون اما كراهة لاجتماع الامثال ، واما اعتيادا للهجة من لهجات القبائل ، واما نهجا لقراءة من القراءات . كما اننا نود ان نشير الى بعض حالات من الابدال عند ابي علي من ذلك :

١ ـ ابدال النون الثالثة ياء .

الياء حرف صامت ، نصف حركي ، امامي ينطق دون استدارة الشفتين . والنون صوت انفي ، غير اهتزازي ، وغير شفوي له اكثر من مخرج واحد . من اجل ذلك اشتد التقارب ، وكره التماثل في النونات ، فابدلت النون الثالثة ياء ـ كما يرى ابو علي الفارسي ـ في « ... التَّظنّي ـ فانه تفعّل من الظن ، وكان القياس ان يقال : تظنن ، مثل التشدد الا ان النون الثالثة ابدلت منها الياء كراهية لاجتماع الامثال فقيل : التظنّي . ومثل ذلك .. قول العجاج :

تقضّي البازي اذا البازي كسر »(٤٤)

٢ ـ ابدال الباء ميما

الابدال بين هذين الحرفين هو ابدال بين المتقاربين ، ذلك لان الميم صوت شفوي ، صفته بين الجهر والهمس ، والشدة واللين ، والاطباق وعدمه (٤٥) . وكذلك الباء فهو صوت شفوي مجهور ، غير انفي ، بين الشدة واللين ، والاطباق وعدمه . من هنا كان ابداله ابدال لهجة ـ فيما رواه « ابو علي باسناده الى الاصمعي . قال : كان ابو سوار الغنوي يقول : باسمك ؟ . يريد: ما اسمك ؟ ... »(٤٦) .

٣ ـ ابدال الطاء صادا :

الصاد صوت صفير ، مطبق ينطق مهموسا . من المجموعة (بين الاسنانية) والطاء صوت مهموس مجهور ، غير انفي ينطق شديدا احيانا ـ وابداله صادا غالبا ما يكون قراءة فيما روى ابو علي « ... عن ابي عثمان ان بعضهم قرأ (ان

(٤٢) المخصص ١٣/٢٦٨ .
(٤٤) المقصديات م ٦/٧ ا . والشيرازيات ١/١٦٢ـ١٦٤ والبصريات ٦ ا . ودراسات في اللغة ١٠٣ « النون والميم في اللغة » .
(٤٥) انظر / قضايا في علم اللغة ٧٣و٧٥ .
(٤٦) سر صناعة الاعراب ١/١٢٥ .

بصلحا وعلى هذا قالوا ا اصّبّر في اصطبر ... »(٤٧) .

٤ ـ ابدال الدال زايا :

الدال من الاصوات الاسنانية المجهورة ، غير المطبقة . والزاي صوت مجهور غير مطبق من اصوات الصفير من اجل ذلك فان هذا التقارب جنح بالدال ان تكون زايا فيما روى ابو علي من قولهم : « ... ازان في ازدان ... »(٤٨)

٥ ـ ابدال الدال ذالا وبالعكس .

الدال صوت اسناني مجهور ، غير مطبق. والذال (بين اسناني) مجهور غير مطبق ايضا لذلك سهل الابدال بينهما « فيقال : اجملني منك على ذكر .

ويقال : ذكرته ذكرا ، وذكرى ، وقد قالوا : الذكر بالدال غير معجمة ... » (٤٩) .

٦ ـ ابدال الثاء فاء

الثاء صوت مهموس ، غير شديد ، وغير مطبق من الاصوات (بين الاسنانية) . والفاء صوت شفوي اسناني مهموس غير انفي ، للاطباق وعدمه اهمية في مخرجه (٥٠) من هذا التقارب بين الصوتين ، كان البدل بينهما فيما حكى « ابو علي قراءة عليه باسناده الى يعقوب : ان العرب تقول في العطف : قام زيد فم عمرو اي ثم عمرو . وكذلك جدث وجدف ... »(٥١)

٧ ـ ابدال اللام ميما .

اللام صوت ، نصف صامت ، غير انفي ، وغير مكرر ، ينطق جانبيا احيانا وهو بين الاطباق وعدمه . اما الميم ، فهو صوت شفوي، ليس لجهره سمة حاسمة ، وليس له شدة حاسمة ايضا ، وليس للاطباق وعدمه اهمية في تمييزه ، كما انه غير انفي (٥٢) من اجل ذلك رايناه ـ اي صوت اللام ـ مبدلا الى الميم فقد روى : « ... ان النمر بن تولب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليس

(٤٧) سر صناعة الاعراب ١/١٩٠ـ١٩١ .
(٤٨) سر صناعة الاعراب ١/١٩٠ـ١٩١ .
(٤٩) انظر / المقصديات ٢ ا .
(٥٠) انظر / قضايا في علم اللغة ٧٤و٧٦ .
(٥١) سر صناعة الاعراب ١/٢٥٠ ، والدراسات اللهجية ١٤٥ ـ ١٤٦ .
(٥٢) انظر / قضايا في علم اللغة ٧٥و٨٥ .

من امرئ آمصيامَ في امسفر . يريد ليس من البِرّ الصيام في السفر فابدل لام المعرفة ميما »(٥٣) .

٨ ـ ابدال الهمزة عينا .

الهمزة صوت يخرج من اقصى الحلق ، ينطق شديدا ، ما بين الهمس والجهر وان كان الوتران الصوتيان اثناء نطقها في وضع لا يمنعها من الاهتزاز .

اما العين ، فهي من الوحدات الصوتية التي تخرج من وسط الحلق ، مجهورة ، رخوة وليست الرخاوة لها سمة . فمن هذا التقارب ابدلت الهمزة عينا فيما روى « ابو علي قراءة عليه ، يرفعه الى الاصمعي قال : سمعت ابا ثعلب ينشد بيت طفيل :

فنحن منعنا يوم حرس نساءكم
غداة دعانا عامر غير معتلي

قال : يريد غير مؤتلي ...

قال : قال الاصمعي : يقال : آدبته ، واعدبته ... اي قويته واعنته »(٥٤) .

يستخلص من ذلك ان الابدال ـ كما يراه ابو علي ـ يحصل لمسوغات تعاونت على تكوينه منها التماثل بين الاصوات ، والتجانس ، والتقارب ومنها التباعد احيانا ، وذلك ان يتباعد الحرفان مخرجا ويتحدا صفة ، او ان يتباعد الصوتان مخرجا وصفة . كالميم والضاد .

الاصوات وزيادتها

الاصل في الاصوات التي تؤلف الكلمات ان لا تزيد ، ولا تنقص ، وتكون حروفها على قدر معناها ، وما يراد بها من التعبير ، وعلى ذلك ، فلا يليق بها الزيادة ، ولا الحذف ، وان انسب اوضاعها ان تستعمل بدون زيادة او حذف في الكلمات . والقياس في امتناعها من الحذف « من قبل انّ الفرض ... انما هو الاختصار »(٥٥) . فالمتكلم ـ مثلا ـ اذا قال : ما قام زيد . فان (ما) هنا عوضت عن الفعل (انفى) . واذا ما قال : هل جاء زيد ؟ نابت عنده (هل) عن قوله (استفهم) .

(٥٢) سر صناعة الاعراب (مخطوط) ١١٦/٢ ب .
(٥٤) سر صناعة الاعراب ٢٤٠/١ـ٢٤١ .
(٥٥) سر صناعة الاعراب ٢٧١/١ . وانظر / شرح المفصل ١٤١/٩ـ١٥٨ (زيادة الحروف) .

اذن وقوع الحرف موقع الفعل وفاعله بعد غاية في الاختصار .

واما علة ضعف زيادتها . فلانها ـ اي الاصوات ـ يقصد بها الاختصار « فلو ذهبت تزيدها ؛ لنقضت الغرض الذي قصدته ، لانك كنت تصير من الزيادة الى ضد ما قصدته من الاختصار فاعرف هذا فان ابا علي حكاه ... وهو نهاية في معناه ... »(٥٦) .

فائدة الزيادة

الزيادة في الصوت تعني ضربا من التوكيد(٥٧) فانمن سنن العرب في زيادة حروف الاسم ـ كما يرى ابن فارس ـ ان تكون « ... اما للمبالغة ، واما للتشويه والتقبيح ... يقولون للبعيد ما بين الطرفين المفرط الطول : طِرمّاح ؛ وانما اصله من الطر ، وهو البعيد لكنه لما افرط طوله سمي طِرمّاحا.. »(٥٨). فالزيادة في الحروف اذن تعني اضافة في المعنى (٥٩) .

الاصوات بين الزيادة والاصل

الاصوات التي تؤلف الاسماء والافعال على ضربين : اصل وزيادة . ويمكن ان نتبين الزيادة من الاصل بالاشتقاق « فما سقط في الاشتقاق كان زائدا وما الزمها فلم يسقط منها كان اصلا. »(٦٠) فحينما نقول : ـ مثلا ـ استخرج فان الهمزة والسين ، والتاء زوائد ، لاننا نسقطها في صياغة المصدر فنقول : الخرج على راي البصريين . ونقول: خرج على راي الكوفيين ، وهكذا النون في (انفطر) . والتاء في (ارتمى) .

عدة اصوات في الزيادة !

اصوات الزيادة : عشرة يجمعهن قولك : اليوم تنساه (٦١) . تحدث ابو علي عن ثمانية منها هي : الهمزة ، والالف ،والياء ، والواو ، والميم ، والنون ، والتاء ، والهاء ، واغفل اثنين منها هما اللام والسين . وفيما يلي نقدم عرضا سريعا لهذه الاصوات .

(٥٦) سر صناعة الاعراب ٢٧١/١ ، والخصائص ٢٧٢/٢ـ٢٧٩ .
(٥٧) سر الصناعة ٢٧١/١ .
(٥٨) الصاحبي ٩٩ .
(٥٩) المنصف ١٥/١ـ١٧ (الزيادة اصل في الوضع) .
(٦٠) التكملة ٢٢١ .
(٦١) انظر / الكتاب (هارون) ٢٣٥/٤ (علم حروف الزوائد)، والجمهرة ١٠/١ ، والمنصف ١١/١ـ١٣ (باب ما تجعله زائدا من حروف الزيادة) ٢٢١ـ٢٣ . والتكملة ٢٢١ـ٢٢٤ .

١ ـ الالف :

الالف سميت الفا لانها تالف الحروف كلها، وهي اكثرها دخولا في المنطق تستعمل اصلا وزيادة ولا تزاد اولا لانها ساكنة لا يبتدا بها ، غير انها تزاد ثانية في (فاعل) . وثالثة في (كتاب) . ورابعة في (سكرى) . وخامسة في (حلبلاب) . وسادسة في(قبعثرى).وهي مناسبة للزيادة اكثر من الهمزة ، لانها كثيرة في الكلمات اذ لا تكاد كلمة «تخلو ..من زيادة بعضها فيها وهي الفتحة»(٦٢) والالف هنا ـ كما اشار ابو علي ـ على ثلاثة اصوات فتحة ، وقصيرة ، وممدودة . ونوع هذه الالف مهما كان صوتها ، لا تكون معلولة ؛ كالالف الاصلية التي هي واحدة من (الصوامت) . فصوت الزيادة في الالف اذن هو غير صوت القلب. وهذا يعني ان صوت الزيادة صوت صحيح ، لا يحرك ، ولا يقلب ؛ وصوت المد ساكن لكنه يقلب عند التحريك وقد دعم ـ ابن منظور ـ راي ابي علي هذا نقلا عن : « ... ابن بري ـ بان ـ الالف التي هي احد حروف المد واللين لاسبيل الى تحريكها ... فاذا ارادوا تحريكها ، ردوها الى اصلها في مثل : رحيان ، وعصوان ... »(٦٣)اما منشؤها فهي ثانية بعد الهمزة في حروف الالف باء ، وعدها سيبويه ثالثة اذ كان يرى ان « لحروف العربية ستة عشر مخرجا فللحلق منها ثلاثة » فاقصاها مخرجا الهمزة ، والهاء ، والالف .. »(٦٤) .

٢ ـ التاء :

وهي من الاصوات المهموسة الشديدة النطعية في مجموعة الطاء والدال والثاء اذ تكون ـ اي هذه الحروف ـ في حيز واحد .

وتستعمل في الكلام على ثلاثة انواع : اصلا ؛ وبدلا وزائدة . وتستعمل اصلا فاء ، وعينا ، ولاما، وتزاد « ... اولى ، وثانية ، وثالثة ، ورابعة ، وخامسة ؛ وسادسة . فزيادتها في الاسماء اولى في نحو : تنضب وتتفل . وفي الفعل تفعل ... والثانية نحو : اقتدر ، والثالثة : استفعل ؛ والرابعة . سنبتة والخامسة .. عفريت ... والسادسة عنكبوت ... »(٦٥) .

(٦٢) التكملة ٢٣٤ .
(٦٣) اللسان ٤٢٧/١٥ (حرف الالف) .
(٦٤) الكتاب (هارون) ٣٣/٤ .
(٦٥) الصاحبي ١٠٨ ، وانظر / التكملة ٢٤١ ، وسر صناعة الاعراب ١٧٤/١ـ١٨٨ (زيادة التاء) .

٣ ـ السين :

وهو صوت مهموس ؛ رخو ، غير مطبق من وحدات الصفير ، من مجموعة الصاد والسين ؛ والزاي) ـ وهي اصوات اسلية تبدا من اسلة اللسان ـ اي مستدقه ـ وهو صوت وسط بين الصاد والزاي (٦٦) . يكون اصلا ، فاء ، وعينا ، ولاما . ويكون زائدا في استفعل .

٤ ـ اللام :

صوت من الوحدات الصوتية نصف الصامتة ؛ وهو غير مكرر ، وغير انفي ، ينطق جانبيا ، وهذه سمة ليست مميزة له . وهو من « الحروف المجهورة ... الذلق ، وهي ثلاثة احرف : الراء ، واللام ، والنون ، وهي من حيز واحد ... »(٦٧) وصوت اللام يكون اصلا في الكلمات فاء ، وعينا ، ولاما ، ويكون زائدا في موضعين : هما في قولهم ا عبدل . وفي قولهم : ذلك (٦٨) . ومن زيادة اللام ـ كما يرى ابو علي ـ ما حكاه ابو الحسن الاخفش« ... عنهم الخمسة العشر درهما ،فاللام في العشر ، لا يخلو من ان تكون للتعريف او زائدة، ولا يجوز ان تكون للتعريف ، لان خمسة عشر اسمان في الاصل جعلا كالاسم الواحد ، وقد يعرف الاسم من اوله باللام في الخمسة ، ومحال ان يتعرف الاسم من جهتين بلامين تبينت ان اللام ... زيادة الا انها ليست لازمة لزومها في الآن والذي ... »(٦٩) .

٥ ـ الميم :

صوت شفوي ، ليس لجهره سمة حاسمة ، وليس لشدته سمة حاسمة ايضا . ولم يكن مطبقا ، وهو صوت انفي (٧٠) . وهو عند الخليل مطبق «لانه يطبق اذا لفظ به»(٧١)

ويكون الميم اصليا فاء ، وعينا ، ولاما ، ويكون زائدا حيث يزاد اولا في مثل : منفعل ، ومفعل ، ومنفعل ـ اي في المصادر واسماء الزمان والمكان . ويزاد في آخر الاسماء نحو : زرقم . وشدقم(٧٢).

(٦٦) انظر / التكملة ٢٤٢ ـ وسر صناعة الاعراب ٢٠٩ ، واللسان ٣/٦ (حرف السين) .
(٦٧) اللسان ٣/١١ .
(٦٨) انظر / التكملة ٢٤٢ ، والصاحبي ١١٢ .
(٦٩) سر صناعة الاعراب (مخطوط) ١٠٢/٢ ا ب .
(٧٠) انظر / قضايا في علم اللغة ٧٥ .
(٧١) اللسان ٣/١٢ (حرف الميم) .
(٧٢) التكملة ٢٣٧ ، والصاحبي ١١٦ .

٦ ـ النون :

صوت من المجموعة الصوتية ، نصف الصامتة، وهو انفي ، غير اهتزازي ، وغير شفوي له اكثر من مخرج واحد . من الاصوات المجهورة الذلق ، يخرج مع الراء واللام من حيز واحد .

ويأتي اصلا (فاء ، وعينا ، ولاما) . وزائدا (اولا ، وثانيا ، وثالثا ، ورابعا ، وخامسا ، وسادسا) . فالاول : نرجس . والثاني : عنسل. والثالث : قلنسوة . والرابع : رعشن . والخامس : سلتان . والسادس : زعفران (٧٤) .

٧ ـ الهاء :

صوت يخرج مهموسا ، وتوجد فيه صورة صوتية مطبقة ، واخرى غير مطبقة . ومنشأه من اقصى الحلق من مجموعة الاصوات الحلقية التي هي العين ، والحاء ، والهاء والخاء ، والغين ، والهمزة . وهو في الهمس من فصيلة الهاء ، والحاء ، والخاء ، والكاف والشين ، والتاء ، والصاد ، والتاء ، والفاء ، وقد لان في مخرجه، دون المجهور ، وجرى مع النفس .

ويكون اصليا فاء ، وعينا ، ولاما . وزائدا « ... في الوقف نحو : كتابيه وحسابيه ، وكيفه ، ولمه . ومسلمونه »(٧٥). فاذا ادرجت ، اسقطته. وقد يزاد في « اهراق ، وفي امهات »(٧٦) .

٨ ـ الواو :

هو صوت صامت خلفي ، نصف حركي ، ينطق دون استدارة الشفتين من الحروف الجوف من فصيلة الالف والياء . وكان الخليل « يسميها الحروف الضعيفة الهوائية ... »(٧٧) وهي ليست لها احياز فتنسب اليها عنده .

ويكون ـ صوت الواو ـ اصلا فاء ، وعينا، ولاما . وزائدا ، ولا يزاد ـ فيما يرى ابو علي ـ اولا ، ولكنه يزاد ثانيا نحو : عوسج ، وثالثا نحو: جهور ورابعا نحو : ترقوة ، وخامسا نحو : قلنسوة (٧٨) .

---

(٧٣) انظر / قضايا في علم اللغة ٨٧ ، واللسان ٣/١٢ (حرف النون) .
(٧٤) التكملة ٢٣٩ ، والصاحبي ١١٦ .
(٧٥) التكملة ٢٤٢ .
(٧٦) التكملة ٢٤٢ .
(٧٧) اللسان ٣/١٤ (حرف الواو) .
(٧٨) التكملة ٢٣٦ . والصاحبي ١١٧ـ١١٨ .

٩ ـ الياء :

هي صوت صامت ، نصف حركي ، ينطق دون استدارة الشفتين ـ وما يزال البحث في التضاد بين الواو والياء في حاجة الى دراسة مستقلة توضح مقدار القضاء الصرفي الدلالي بين الواو والياء ، ومدى حلول كل منهما محل الاخرى .

والياء ـ كما مر معنا ـ من الحروف الجوف التي لا حيز لها عند الخليل تكون اصلا فاء وعينا، ولاما . كما تزاد « ... اولا في نحو : يلمق . وفي الفعل : يضرب وثانية في ضيغم،وثالثة في : عثير، ورابعة في : زبنية ، وخامسة في : ... سلحفية »(٧٩) .

١٠ ـ الهمزة :

وهي صوت مجهور من اقصى الحلق ، شديد ، تكون في الكلام على ثلاثة انواع : اصلية، وبدلية ، وزائدة ، وتكثر زيادتها ـ فيما يرى ابو علي ـ « ... اولا في الاسماء والافعال ... فاذا كانت الهمزة اولا ، حكمت بزيادتها ... فان كانت غير اول ، حكمت بأنها اصل حتى تقوم الدلالة على زيادتها .. »(٨٠) .

مما تقدم نستخلص ما ياتي :

اولا :

آ ـ ان الالف لا تزاد اولا لانها ساكنة ، والكلمة العربية لا تبتدىء بساكن . وتزاد في كل المواضع من الثاني حتى السادس ـ فيما عدا الموضع الاول ـ .

ب ـ التاء والنون تزادان في كل المواضع من الاول حتى السادس .

جـ ـ السين تزاد ثانية فقط

د ـ الهاء تزاد آخرا في الوقف فقط

هـ ـ الهمزة تزاد اولا فقط .

و ـ اللام تزاد وسطا وآخرا

ز ـ الميم تزاد اولا واخرا

ح ـ الواو تزاد في كل المواضع من الثاني حتى الخامس .

---

(٧٩) التكملة ٢٣٥ .
(٨٠) سر صناعة الاعراب ٧٨/١ . والجمهرة ١٠/١ .

ط ــ الباء تزاد في كل المواضع من الاول حتى الخامس .

ثانيا :

ان حروف القلب والابدال هي خمسة عشر حرفا ، وليست ــ كما يرى الكثير من اللغويين ، من انها ثلاثة عشر حرفا ، عشرة منها من حروف الزيادة ، يضاف اليها الطاء ، والدال ، والجيم ، والصاد ، والزاي فتكون بذلك خمسة عشر حرفا وهي تشكل حروف القلب والبدل ، بدليل ان اللام والسين اللذين اسقطهما اللغويون من حروف البدل . كانا قد ابدلا في بعض كلام العرب ، كما رأينا فيما تقدم . سواء كان هذا الابدال قياسا ام لهجة فهو ابدال لاشك فيه .

ثالثا :

اذا ما تأملنا في مخارج . الحروف الخمسة ــ الطاء ــ والدال ــ والجيم ــ والصاد ، ــ والزاي، رأيناها داخلة في مخارج حروف الزيادة . فالجيم داخل في مخرج الياء . والصاد والزاي داخلان في مخرج السين ، والطاء والدال داخلان في مخرج التاء . من هنا تكون مخارج اصوات القلب والابدال عشرة داخلة في مخارج اصوات الزيادة، واليك بالتفصيل مدارجها :

آ ــ اصوات : الالف ، والهمزة ، والهاء من الحلق .

ب ــ صوتا الجيم والياء : من وسط اللسان ، وما بينه وبين وسط الحنك الاعلى .

ح ــ صوت اللام : من حافة اللسان من ادناها الى منتهى طرف اللسان ، من بينها ، وبين ما يليها من الحنك الاعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية .

د ــ صوت النون : من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا .

هـ ــ اصوات الطاء ، والدال ، والتاء : ما بين طرف اللسان واصول الثنايا .

و ــ اصوات الصاد ، والزاي ، والسين ، مما بين الثنايا وطرف اللسان

ز ــ صوتا الميم والواو مما بين الشفتين .

ويمكن ان نحصر هذه المخارج في مجريين اثنين :

احدهما : حلقي من ادنى الحنجرة يكون عميقا والثاني : سطحي قريب من الشفتين يكون محصورا بين اللسان والاسنان والشفتين .

من هنا نشعر ان حروف الابدال والقلب هذه تكاد لا تختلف كثيرا من حيث التشابه والتقارب. وهذا ما يمكنها من ان تخفف من ثقل حروف الكلمة الاصلية ــ اذا كانت ثقيلة ــ وتثقل من خفة حروف الكلمة ــ اذا كانت خفيفة ــ حتى يتحقق التوازن بين الخفة والثقل في الحروف والحركات التي تنسج الكلمات كما ان حروف الزيادة تحقق لنا مزيدا من المعاني . والتوازن الموسيقي في الكلمات .

القسم الثاني

الادغام في الاصوات

الادغام : « فضل من فضول العربية »(٨١) . وهو : « أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله ــ او مقارب له ــ من غير أن تفصل بينهما بحركة ، او وقف ، فيرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة ، وذلك في قولك : عد وفتر ، وغض . . . »(٨٢) حيث أن توالي المتحركات ــ احيانا ــ لا يحتملها اللسان ، فتكون ثقيلة على النطق . من هنا كان لابد من ساكن لكي تتعاقب الحركات والسواكن . فاذا صدف حرفان لفظهما واحد ــ او متقارب ــ وسكن الاول منهما فهو مدغم في الثاني (٨٣)

انواعه عند الفارسي

وهو على نوعين هما :

آ ــ ادغام المماثل من المتصل والمنفصل

ب ــ ادغام المقارب من المتصل والمنفصل

آ ــ ادغام المماثل من المتصل والمنفصل

ا ــ المتصل : الحرفان المتماثلان اذا كانا في كلمة، كانا على قسمين :

احدهما : ان يراد بالكلمة الالحاق في كلمة اخرى اكثر منها ــ اي من الكلمة الاولى ــ حروفا.

والثاني : ان لا يراد به ذلك .

---

(٨١) المنصف ٣٤٠/٢ . وحاشية الصبان ٢٤٩/٤ .
(٨٢) التكملة ٢٧٣ . والبصريات ٢ ا .
(٨٣) المقتضب ١٩٧/١ . واللغة العربية معناها ومبناها ٢٧٩ــ٢٩٥ (الادغام) .

فالذي كان ملحقا لا يدغم حتى يحرك الاول من الصوتين المكررين وذلك : نحو : جلبب ـ في الفعل ـ . وقعدد في الاسم . وهذان المثالان ملحقان الثلاثة بالاربعة .

اما ما يلحق الاربعة بالخمسة فنحو : الندد(٨٤) (اي الشديد الخصومة) .

ومما لا يراد به الالحاق فهو على نوعين ايضا :

الاول : يكون في كلمة واحدة . **والثاني** يكون في كلمتين اثنتين .

فما كان في كلمة واحدة ، فقد ادغموه ، وعاملوه كالمتصل تارة . وقد تركوه فعاملوه كالمنفصل تارة اخرى . ومن هذا ما كانت فيه (تاء الافتعال) . نحو : اقتتلو ـ ... مثلا ـ اجري متصلا ومنفصلا ـ فيما يرى ابو علي ـ قال قوم : «اقتتلوا ...وقال قوم : قتلوا ..»(٨٥)

اما ادغام المتماثلين اذا اتصل احدهما بالتاء ـ ان كانت ضميرا ـ ، فقد فكهما العرب لحركة التاء ، وذلك لكي يكون الصوت جاريا متسقا . وان كانت حرفا للتانيث ، ادغم العرب المتماثلين . وذلك لسكون التاء . فعلى ذلك : « ...تقول : حممت وخمّت المراة . ادغمت الميم الاولى في قولهم : حمت . ولم تدغم في : حممت .لان الميم التي هي لام الفعل تبنى على السكون مع علامة الضمير، كما تبنى عليه في مثل : ضربت ، وقلت ولا تصل الحركة الى هذه اللام لبنائها مع ضمير الفاعل الذي للمتكلم ، والمخاطب ، لان الفعل يبنى مع الفاعل في الضمير ، لتنزلهما منزلة كلمة واحدة ... ولما تنزل هذه المنزلة ، وجب ان يظهر التضعيف »(٨٦) وهذه القاعدة المطردة في الكلام العربي لا تمنع من مجيء غيرها في النص فيما حكى ابو علي اذ روى « ... عن الخليل ان ناسا من بكر بن وائل يقولون : ردّن ، ومرّن ... »(٨٧) وهناك من العرب من يفرون من التضعيف الى الابدال اذ « ... ان اختلاف الحروف اخف عليهم من ان يكون من موضع واحد ... »(٨٨) لذلك « قالوا في جمع الجمع ـ من حظّ ـ احاظ ، فأبدلوا من الظاء التي هي لام الياء كراهة التضعيف ، وكان القياس احاظ على افاعل ، والاصل : احاظظ ... »(٨٩) .

٢ ـ المنفصل :

نقصد هنا ادغام صوتين متماثلين (٩٠) تجاورا في كلمتين كان احدهما في اخر كلمة متقدمة ـ في تركيب ـ والثاني في اول كلمة تليها مثال ذلك قولك: فَعَلَ لبيدٌ .اذ توالت هنا خمس متحركات، وذلك ليس بالحسن عندهم (٩١) فتكون هكذا (فَعَلْ لبيد) باسكان الثالث المتوسط مما يسهل الادغام وهو الافضل .

والساكن قبل الحرف المدغم في المنفصلين يكون على ضربين :

احدهما : ان يكون حرفا لا مد فيه . فلا يجوز ـ حينئذ ـ الادغام في الحرف الذي بعده وذلك نحو : « ... اسم موسى . وقوم مالك ... لانه لم يبلغ من قوة المنفصلين ان يحرك لبما الساكن كما كان ذلك في المتصلين .. »(٩٢)

والثاني : ان يكون حرف مد . والادغام فيه جائز ، لان حرف المد الذي فيه عوض من الحركة يصير بمثابة ما كان من الحرف الذي قبله متحركا مثل قولك : المال لك . و (اتحاجّوني) .. و (ولا الضالّين) .

ب ـ ادغام المقارب من المتصل والمنفصل .

وهذا يتخذ مسارب كثيرة تدخلنا في تفصيلات متشعبة لا نريد الخوض ، او الاطالة فيها ، انما نشير الى اهمها اشارات عابرة في المتصل ومنه :

١ ـ ادغام تاء الافتعال في الدال ،والطاء ،والزاي، في ثنايا الكلمات (٩٣) وقد ورد ذلك في كلام العرب.وكان قياسا للنحاة ، كما قرأ بعض القراء قوله تعالى : « مُرْدَفِينَ ... و.. مُرِدَفِينَ »(٩٤) . وكان « الاصل فيهما

---

(٨٤) التكملة ٢٧٣ .
(٨٥) التكملة ٢٧٣ـ٢٧٤
(٨٦) العضديات ٢٨ ا ب .
(٨٧) العضديات ٢٨ ب .
(٨٨) الكتاب (هارون) ٤١٧/٤ .

(٨٩) العضديات ٦٦ ا .
(٩٠) انظر / الكتاب ٤٢٧/٤ـ٤٢٨ (باب الادغام في الحرفين) والمقتضب ٢٠٦/١ (الادغام في المثلين في الانفصال) واللغة العربية (معناها ومبناها) ٢٨٠ـ٢٨٢ (المثلان) .
(٩١) انظر / التكملة ٢٧٤ والكتاب (هارون) ٤٢٧/٤ .
(٩٢) التكملة ٢٧٤ ، واللغة العربية / ٢٨٢ .
(٩٣) انظر / المقتضب ٢٠٧/١ (الادغام في المقاربة) والدراسات اللهجية ١٧١ـ١٧ .
(٩٤) الانفال ٩/٨ . ومعاني القرآن ٤٠٤/١ . وحجة ابن خالويه ١٦٩ ومجمع البيان ٥٢٣/٤ـ٥٢٤ .

مرتدفين فادغم التاء في الدال فلما التقى ساكنان حرك الراء لالتقاء الساكنين ؛ فضمت تارة اتباعا لضمة الميم ، وكسرت تارة لان الساكن يحرك بالكسرة »(٩٥) .

وهذا النوع من الادغام ـ في المتصل ـ في الحروف المتقاربة المخارج في الكلمة الواحدة يكون حسنا « في حسن الادغام »(٩٦) في المتماثلين ، ولا يكون الا اذا كان الحرف الاول من المدغمين ـ كما اسلفنا سابقا ـ ساكنا فان تحرك الاول منهما مثل عَتَدَ وَوَتَدَ ؛ فلم يحسن الادغام فيهما .

٢ ـ ادغام التاء اولا في الدال ، والزاي ، والطاء بعد همزة وصل .

ولا يكون ذلك الا باجتلاب همزة وصل ، لان الذي اجتلبت له قبل الادغام كان متحركا ؛ فلما دخلت عليه ، سكن ، فسهل ادغامه ، فقلت فيه : « ... اطير اذا اردت تطير وازَّيَّنَ اذا اردت : تزين وفي التنزيل : وَازَّيَّنَتْ ...)(٩٧) و (... فَادَّارَاتُمْ فيها)(٩٨) ... »(٩٩) .

هذا ما كان من المقارب في المتصل .

أما ما كان في المنفصل ، فلا نريد الخوض فيه.

ولا يفوتنا ان نقف وقفة قصيرة عند ادغام الاصوات ، وعدم ادغامها عند ابي علي الفارسي حيث قسمها الى ثلاثة اصناف بغض النظر عن اتصالها وانفصالها وهي :

آ ـ مالا يدغم : لا في مثله ، ولا في مقاربه : ويشمل الهمزة ، والالف ، والواو ، واليـاء .

ب ـ ما لا يدغم في مقاربه ولكن يدغم مقاربه فيه ويشمل الميم ، والفاء ، والراء ، والشين

حـ ـما يدغم في مقاربه ، ويدغم مقاربه فيـه . ويشمل سائر الحروف .

آ ـ ما لا يدغم : لا في مثله ، ولا في مقاربـه .

١ ـ الهمزة :

وهي لا تدغم في مثلها ، لانها اذا اجتمعت مع همزة مثلها ؛ فلابد من ان تقلب الثانية منهـما الى (واو) او (ياء) او (الف) ؛ وحينئذ تكون هذه الاصوات المنقلبة اليها الهمزة الثانية بعيدة في مخارجها عن مخرج الهمزة (..ا)،لان الادغام يعتمد اساسا على التشابه او التماثل ، او التقارب في الاصوات . وفي انقلابها ـ اي الثانية ـ ابعاد في الصوت عن مجرى الهمزة الاولى . من هنا يذهب سيبويه ، ويتابعه الفارسي ـ الى ابعد من ذلك اذ يرى ان الهمزة من الحروف التي « ... لا يدغم في مقاربة ، ولا يدغم فيه مقاربة، كما لا يدغم في مثله ... لانها انما امرها في الاستثقال التغيير والحذف ...»(١٠١). ويقصد بالتغيير هنا القلب والابدال . فلا ادغام اذن الا في حال عدم امكان القلب والابدال .

٢ ـ الالف :

والالف ايضا ـ كما يرى ابو علي « ... لا تدغم في مثلها ، ولا تدغم في الهاء ايضا ، ولا الهاء فيها »(١٠٢) ؛ لانهما لو ادغما ؛ لتغيرا الى غير الالفين ، ولما لم يصلح ذلك في الالفين ـ اي الادغام ـ فالاجدر ان لا يكون في الالف والهاء(١٠٣)

٣ ـ الباء :

الباء لا تدغم في مقاربها (١٠٤) الجيم لان الجيم يمكن ان تقلب ياء ـ كما اشرنا الى ذلك من قبل في دراسة الابدال ـ واذا كان الابدال سائغا بين الحرفين يكون على النطق اسهل ، واخف من الادغام . من هنا يلجا العرب للادغام في كلامهم اذا تعذر القلب والابدال .

٤ ـ الواو :

الواو ايضا لا تدغم في الميم « ولا تدغم واحدة منهما في مقاربها ؛ ولا مقاربها فيها (١٠٥) لان ما في الواو من المد واللين جعل ما بينها وبين الميم بعيدا في المخرجين غير ان الواو تدغم في الياء على الرغم من التراخي الحاصل بين مخرجيهما هذا اذا لم يكن قبلها ضمة ، فان«... كانت ... قبلها ضمة ـ فان ذلك ـ ابعد للادغام ... »(١٠٦)

ب ـ ما يدغم مقاربه فيـه :

---

(٩٥) انظر / مجمع البيان ٥٢٤/٤ . والكتاب ٤٤٤/٤ ، والتكملة ٢٧٤ .
(٩٦) الكتاب (هارون) ٤٤٥/٤ .
(٩٧) يونس ٢٤/١٠ . وانظر / مجمع البيان ١٠٢/٥ القراءات الشاذة .
(٩٨) البقرة ٧٢/٢ . ومجمع البيان ١٣٧/١ .
(٩٩) التكملة ٢٧٤ .
(١٠٠) التكملة ٢٧٦ .
(١٠١) الكتاب ٤٤٦/٤ .
(١٠٢) التكملة ٢٧٦ .
(١٠٣) انظر / الكتاب ٤٤٦/٤ .
(١٠٤) انظر / التكملة ٢٧٦ ، والكتاب ٤٤٦/٤ .
(١٠٥) التكملة ٢٧٦ .
(١٠٦) الكتاب ٤٤٧/٤ .

١ ــ الاصوات التي لا تدغم فيما قاربها ؛ ويدغم ما قاربها فيها هي :

الميم ، والراء ، والفاء والشين ، والضاد وغيرها من الاصوات التي فيها « ... زيادة صوت »(١٠٧) فانها لا تدغم في الاصوات التي هي انقص صوتا منها . فحينما نقول : ــ مثلا ــ اكرم بكرا . لا نستطيع ان ندغم الميم في الباء ، لما في الميم من الغنة والزيادة في الصوت على الباء . غير اننا ندغم الباء في الميم في قولنا : اصطحب مطرا . فتقول : اصطحمطرا وكذلك الفاء ، فلا تدغم في الباء ، لانها تنشأ من باطن الشفة السفلى ، واطراف الثنايا العلى ، وتنحدر الى الفم . والادغام لا يكون في الحروف الشفوية « وانما اصل الادغام في حروف الفم واللسان »(١٠٨) والراء لا تدغم في اللام ، ولا في النون ، لانها مكررة . غير ان هذين الصوتين ــ اي اللام والنون ــ يدغمان فيها لانها اطول صوتا .

اما الشين ، فقد استطال مخرجها لرخاوتها ، فلا يمكن ان تدغم في الجيم وهكذا بقية الاصوات . فان ما استطال مخرجه منها ، لا يمكن ان يدغم في ما هو انقص منه صوتا بل بالعكس .

ح ــ ما يدغم في مقاربه ويدغم مقاربه فيه .

١ ــ اصوات الحلق :

ان اصوات الحلق التي نقصدها ، والتي يمكن ان تدغم هي : الهاء ، والعين والخاء ، والغين ، والحاء . فما كان منها اعمق يدغم في الذي ياتي بعده في المخرج .

فالهاء ــ مثلا ــ تدغم في الحاء ، ومعروف ان الهاء قبل الحاء في المنشأ . من هنا نقول : اجبحمّلا في « اجبه حملا ، لان الهاء ادخل في الحلق والحاء اشد خروجا من الحلق الى الفم ، ولذلك ادغمت الهاء في الحاء ، ولم تدغم الحاء في الهاء في نحو : امدح هلالا ... »(١٠٩) لان الحاء انقص صوتا منها . واصوات الحلق هذه يكون الادغام فيها حسنا ولكنه ليس باصل ، ولا اساس.

وتدغم الهاء في العين ، لان الهاء اعمق في الحلق ، والعين اقرب منها الى الفم في المنشأ غير انه من الافضل ان نبدل من الهاء حاء ، ومن العين حاء ايضا ؛ ثم ندغم الحاء فنقول : اجبحنبه في اجبه عنبه ولكننا لا ندغم العين في الهاء انما نقول: « ... اقطع هلالا ــ لان ــ البيان احسن ... »(١١٠) ، في ذلك .

وتدغم العين في الحاء ، فنقول : امد حرفه في : امدح عرفه . لان الحاء اقرب مخرجا من العين الى الفم ، ولا يصح ان تدغم الحاء في العين (١١١) .

وتدغم الغين في الخاء نحو : ادمغ خلفا . فتقول: ادمخلفا . فالادغام فيهما حسن غير ان « البيان احسن » (١١٢) .

وتدغم القاف مع الكاف ، او تبين ، وبعكس الامر بين القاف والكاف ، وتدغم ايضا وتبين « ... كقولك الحقّ كلدة ، الادغام حسن ، والبيان حسن ... » (١١٣)

٢ ــ اصوات طرف اللسان واصول الثنايا(١١٤)

٧٨ وهي اصوات الطاء ، والدال ، والتاء ، والصاد ، والسين ، والزاي والظاء ، والثاء ، والذال . فتدغم الطاء في الدال ، والدال في التاء ، والتاء في الدال . وهذه الحروف السابقة تدغم في الطاء ، والتاء ، والذال . وبالعكس . وهذا يدل بطبيعة الحال على شدة تقارب هذه الاصوات في المخارج ، والصفات ، والالقاب بحيث تؤدي هذه السمات الى التقارب في تشابه اصواتها في النوع والطول مما يؤدي الى ادغامها ببعضها .

وتدغم هذه الحروف الستة (الطاء ، والدال ، والتاء ، والثاء والذال) ، في الصاد والسين ، والزاي « ولا تدغم الصاد والسين ، والزاي في هذه الحروف » (١١٥) .

وتدغم الطاء ، والتاء ، والدال ، والظاء ، والثاء ، والذال في الضاد ، كما تدغم هذه الاصوات في الشين ايضا ، ويجوز ان تدغم الظاء في الطاء كذلك .

---

(١٠٧) التكملة ٢٧٦ ، والكتاب ٤/٤٤٧ــ٤٤٨ ، واللغة العربية ٢٨٣ .

(١٠٨) الكتاب ٤/٤٤٨ .

(١٠٩) التكملة ٢٧٧ ، والكتاب ٤/٤٤٩ . واللغة العربية ٢٨٥ .

(١١٠) الكتاب ٤/٤٤٩ــ٤٥٠ ، واللغة العربية ٢٨٥ .

(١١١) التكملة ٢٧٧ . والكتاب ٤/٤٥١ . واللغة العربية ٢٨٥ .

(١١٢) التكملة ٢٧٧ ، والكتاب ٤/٤٥١ ، واللغة العربية ٢٨٦ .

(١١٣) التكملة ٢٧٧ ، والكتاب ٤/٤٥٢ .

(١١٤) انظر / الكتاب ٤/٤٦٠ــ٤٧٦ (الادغام في حروف طرف اللسان والثنايا) .

(١١٥) التكملة ٢٧٩ .

٣ ـ ادغام لام المعرفة :

تدغم لام المعرفة في ثلاثة عشر صوتا ـ ولا يجوز معها الا الادغام ـ منها احد عشر صوتا من اصوات طرف اللسان ، ومنها صوتان يخالطان طرف اللسان وهذه الاصوات هي : النون ، والراء ، والدال ، والتاء والصاد ، والطاء ، والزاي ، والسين ، والظاء، والثاء ، والذال. اما الصوتان اللذان يخالطان طرف اللسان فيهما الضاد والشين (١١٦) .

٤ ـ النون في الادغام :

ولهااربع احوال هي الادغام ، والاخفاء ، والقلب ، والبيان . فالحروف التي تدغم النون فيها هي : الراء ، واللام ، والميم ، والواو ، والياء، نحو : من راشد . ومن لك . ومن يقول . ومن واقد . وتدغم بغنة وبغير غنة .

وتقلب ساكنة ميما مع الباء نحو : عمبر ، فاذا تحركت ، لم تقلب . وتخفى مع بقية اصوات الفم ، ولا تبين اذ يكون مخرجها مع هذه الاصوات من الخياسيم مثل : من قبل. ومن كفر . وتبين مع اصوات الحلق اذ يكون مخرجها من الفم مثل : من عابد ؟ (١١٧)

ونخلص في نهاية بحثنا في الادغام الى الحقائق التالية :

١ ـ ان ابا علي كان متاثرا ايما تاثير فيما كتبه سيبويه .
٢ ـ ان الاصوات التي تكون اعمق في الحلق تدغم في التي بعدها في المخارج .
٣ ـ ان الصوت الضعيف يدغم في الصوت الذي هو اقوى واطول منه .
٤ ـ لا يلجأ الى الادغام الا اذا تعذر القلب والابدال .

من ذلك يتبين لنا ان ادغام الاصوات يكون حسب مدارجها ، من اقصى الحلق الى نهاية الشفة فما كان منها اعمق ، كان يدغم بالذي بعده لانه اقوى منه صوتا . وعلى ذلك فلا يكون هناك ادغام بين اصوات اللسان واصوات الحلق لما بينهما من بعد .

وفي النهاية يمكن ان نخلص الى ان القلب ، والابدال ، والادغام ، من وسائل التخفيف للتخلص من الثقل الذي يصادف الكثير من الكلمات عند النطق بها .

(١١٦) انظر / التكملة ٢٨٠ ، والكتاب ٤٥٧/٤ .
(١١٧) التكملة ٢٧٨ .

القسم الثالث
الامالة واصوات الحركات

١ ـ الامالة

تعريفها وفائدتها :

هي « ان يتناسب الصوت بمكانها فيتشابه ولا يتباين » (١) وهي « ان تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الالف نحو الياء فتقاربها نحو : عماد وعابد »(٢) . اذن هي مشبهة للادغام من حيث تقريب الحرف من الحرف للتقارب نحو : صدر فانهم احيانا يشربون صوت الصاد زايا حتى لتكاد تقترب من الدال في الجهر .

والقصد من ذلك بطبيعة الحال « التلائم بين الحروف »(٣) لتقترب الاصوات من بعضها بحيث تولد نمطا متسقا في الانسجام والتجانس في المخارج والصفات والتآلف . وقد اشار سيبويه الى ذلك من قبل بان قال : « فالالف تمال اذا كان بعدها حرف مكسور ... انما أمالوها للكسرة التي بعدها ، ارادوا ان يقربوها منها .. التماس الخفة ... »(٤) ثم اخذ ابن جني فيما بعد ما جاء به سيبويه وما كتبه ابو علي ، ولم يزد عليه الا قليلا ليس بذي بال (٥) .

انواعها

والامالة على نوعين فيما يرى ابو علي الفارسي هما (٦) :

١ ـ **الواجبة** ، وتكون اذا وقعت الالف في الكلمة بعد الياء ، او بعد الكسرة ، وكذلك اذا كانت الكسرة ، او الياء بعد الالف . وبعبارة ادق اذا سبقت او لحقت الالف بياء ، او كسرة(٧) فالياء نحو : شيبان ، وغيلان . والكسرة نحو : عماد ، وكتاب. هذا اذا كانت الكسرة ، او الياء قبل الالف . اما اذا كانت الكسرة او الياء بعد الالف ، فذلك نحو : عابد . ومسافر . وكان سيبويه قد اشار من قبل الى ان « الالف تمال اذا كان بعدها حرف مكسور ... واذا كان بين

(١) التكملة ٢٢٣ ، وشرح المفصل (الهامش) ٥٤/٩ ، وحاشية الصبان شرح الاشموني ٢٢٠/٤ .
(٢) التكملة ٢٢٣ وشرح المفصل ٥٤/٩ .
(٣) التكملة ٢٢٣ وشرح المفصل ٥٤/٩ .
(٤) الكتاب ١١٧/٤ وحاشية الصبان / شرح الاشموني ٢٢٠/٤ .
(٥) انظر / الخصائص ١٤١/٢ والدراسات اللهجية ٢٠١-٢٠٧ (الامالة) .
(٦) الكتاب ١١٧/٤-١٤٤ . وحاشية الصبان / شرح الاشموني ٢٢٠/٤-٢٢٥ .
(٧) الدراسات اللهجية ٢٠١ ـ ٢٠٧ (الامالة) .

اول حرف من الكلمة وبين الالف حرف متحرك . والاول مكسور ... وكذلك ان كان بينه وبين الالف حرفان الاول ساكن ...)(٨) .

٢ ـ **الممتنعة** : اذا كان ما بعد الالف مفتوحا ، او مضموما ، فان الامالة لا تكون . فاننا لا يمكن ان نميل الالف في : (تابل) . و (آجر)(٩) . ذلك لان الامالة جنوح نحو الكسر، ولا نستطيع ان ننحدر بالفتح ، او الضم مع الالف نحو الكسر . وهذا ما اكد عليه سيبويه ـ قبل الفارسي ـ اذ كان يرى انه « ... اذا كان ما بعد الالف مضموما ، او مفتوحا : لم تكن فيه امالة »(١٠) .

امالة الالف وحروف الاستعلاء

آ ـ امتناع الامالة :

اصوات الاستعلاء سبعة هي : الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء والغين ، والقاف . والخاء ، فهذه الاصوات تمتنع الالف من الامالة معها على أوضاع مخصوصة معينة هي :

١ ـ اذا كانت هذه الاصوات مفتوحة مثل : صابر ، وطاهر .

٢ ـ اذا كانت هذه الاصوات بعد الالف بحرف واحد مثل : هابط ، ونابغ .

٣ ـ اذا وقعت هذه الاصوات بعد الالف بحرفين اثنين مثل مناشيط (١١) . وسبب المنع من الامالة هنا بسبب أن هذه الاصوات « تصعد ـ الى الالف ـ وتستعلى الى الحنك الاعلى كما تستعلي الالف وتصعد اليه ... »(١٢) . من اجل ذلك فان هذه الحروف تتغلب على الالف في اصواتها ،كما تتغلب الكسرات والياءات عليها ـ اي الالف ـ في المواضع التي تحصل فيها الامالة .

ب ـ **امكان الامالة** :

قد لا تمتنع الامالة احيانا مع الحروف المستعلية ، اذا تراخت هذه الحروف وذلك :

١ ـ اذا كان احد هذه الحروف ـ السبعة المتقدمة ـ سابقا للالف بحرف واحد ، وكان مكسورا مثل ضفاف وقفاف .

٢ ـ اذا كان بعد الالف حرف مكسور وكان الالف مسبوقا بواو مثل : (واقد) .

وحاصل ذلك انك حينما تنطق كلمة (ضفاف) فالانحدار يكون قبل الاصماد بينما يكون الاصماد قبل الانحدار في نطقك كلمة (واقد)

ما تحصل فيه الامالة وما لا تحصل فيه من الالفات

آ ـ ما كان فعلا على (فَعَلَ) . وكانت الياء او الواو فيه حرفا ثالثا مثل : رمى ، وسعى، وغزا ، ودعا . فان الالف في مثل هذه الكلمات تمال الى الياء ، ان كان اصلها واوا ، ام ياء ومعنى هذا فانها ترجع الى اصلها في حال كونها ياء ، وتنقلب الى الياء في حال كونها واوا . وهذه قاعدة مطردة في هذه الالف في مثل هذا الموضع(١٣) اذا كانت الكلمة فعلا .

ب ـ ما كان اسما :

فاذا كانت الالف فيه ثانية منقلبة عن ياء مثل: ناب ، فانها تمال لاننا نقول فيها : انياب في حال الجمع (١٤) .

واذا كانت الالف ثالثة « لم تمنع الامالة »(١٥) في مثل رحى ، ونوى . واذا وقعت الالف رابعة فصاعدا في آخر الاسم ، وكانت منقلبة عن ياء او عن واو ، او كانت للتانيث او لغيره ، تمال ولا تمتنع في مثل مرمى ومعزى ، ومشترى ، ومسترشى ، واعمى ، وحبلى (١٦) لانها تنقلب في التثنية ياءات. وكذلك لو صرفت من شيء منه فعل . وقد أمالوا الالف المبدلة من التنوين ـ في الاسم ـ مثل رأيت عمادا . في حال النصب وذلك « لامالة الف عماد »(١٧) .

ج ـ ما كان ممتنعا من الامالة في الفعل والاسم .

اما ما يمتنع من الامالة في الالفات : فالالف في الفعل في مثل قولك :

هو يضربها . او يكبلها ، وذلك لحجز

---

(٨) الكتاب ١١٧/٤ وانظر / التكملة ٢٢٣ ، حاشية الصبان / شرح الاشموني ٢٢١/٤ .

(١١) الكتاب ١٣٢/٤ . وانظر شرح المفصل ٥٩/٩ « تمتنع الامالة سبعة احرف ... » .

(١٢) الكتاب ١٢٨/٤ـ١٢٩ . وانظر ، شرح ابن عقيل ١٨٦/٤ .

(١٣) انظر / الكتاب ١٢٨/٤ و ١٣٢ ، والخصائص ١٤١/٢ .

(١٤) انظر / التكملة ٢٢٤ ، والكتاب ١٣١/٤ .

(١٥) التكملة ٢٢٤ . وشرح ابن عقيل ١٨٣/٤ .

(١٦) الكتاب ١٢٤/٤و١٢٥ .

(١٧) انظر / الكتاب ١٢٣/٤ـ١٢٤ .

الضمة ، وكذلك في مثل قولك : لم يُخفِها ، ولم يعلمها « لانه لا كسر هنا ولا ياء »(١٨) .

اما اذا كانت الالف في الاسم ، وكانت اخيرة ثالثة منقلبة عن الواو ، فانها لم تمل كما يرى ابو علي لانها لا تصير الى الياء . غير اننا نلمح في كلام سيبويه الامالة وعدمها ، ذلك لانه يقول : « وقد يتركون الامالة فيما كان على ثلاثة احرف من بنات الواو نحو : قفا ، وعصا ، والقنا ، والقطا واشباههن من الاسماء ، وذلك انهم ارادوا : ان يبينوا انها مكان الواو ، ويفصلوا بينها وبين الياء وهذا قليل يحفظ . وقد قالوا : الكبا ، والعشا ، والمكا ... » (١٩) .

احكام الراء في الامالة

نقصد هنا معاملة (الالف) من حيث الامالة ، وعدمها في الكلمات التي تجتمع فيها الفات وراءات . ومن اجل ذلك علينا ان نعرف طبيعة الراء اولا ، ومن خلال تلك الطبيعة نحدد امالة الالف، وعدم امالتها ثانيا ويمكن ان نقسم ذلك الى قسمين :

آ ـ عدم الامالة مع الراء .

الراء صوت مكرر . فاذا نطق به مفتوحا ، صار بمنزلة صوتين مفتوحين لذلك يقوى فيكون بقوة اصوات الاستعلاء ، فيقوي مد الالف ، ولا ينحدر به الى الكسر (٢٠) . وليس هذه الحقيقة جديدة ، انما كان سيبويه يرى ـ مستمينا بالنص العربي ـ أن « ... الراء اذا تكلمت بها خرجت كانها مضاعفة ، والوقف يزيدها ايضاحا ، فلما كانت الراء كذلك ، قالوا : هذا راشد ، وهذا فراش ، فلم يميلوا ، لانهم كانهم قد تكلموا براءين مفتوحين ، فلما كانت كذلك ، قويت على نصب الالفات ، وصارت بمنزلة القاف حيث كانت بمنزلة حرفين مفتوحين فلما كان الفتح كانه مضاعف وانما هو من الالف : كان العمل من وجه واحد اخف عليهم »(٢١). وكذلك اذا وقعت الراء بعد الف ، وكان بعدها حرف قابل للامالة ، فلا تمال هذه الالف مثل قولك « ... هذا حمار ، ورأيت حمارا فتنصب ،ولا تميل ... »(٢٢) . وخلاصة ذلك انها ـ اي الالف ـ « لم تمل في الرفع والنصب»(٢٣)

(١٨) التكملة ٢٢٤ .
(١٩) الكتاب ١١٦/٤ .
(٢٠) انظر / التكملة ٢٢٧ .
(٢١) الكتاب ١٢٦/٤ .
(٢٢) التكملة ٢٢٧ . وانظر / حاشية الصبان شرح الاشموني ٢٢٨/٤ .
(٢٣) الكتاب ١٣٦/٤ .

وكان حديثنا السابق يدور حول الالف اذا كانت مفتوحة سابقة او لاحقة للراء .

اما اذا كانت الراء بعد الالف مكسورة ، او كان بين الالف وبينها حرف ، فانها لم تمل ايضا « ... تقول في الرفع : هو قادر ، فلا تميل ... وتقول ناقة فارق ، واينق مفاريق فلا تميل ... »(٢٤) ايضا .

ب ـ امكان الامالة مع الراء .

تمال الالف مع الراء اذا كانت ـ الراء ـ مكسورة في حال الجر ، وكذلك : « ان كان اول الحرف مضموما ، او مفتوحا نحو : من الدوار ، ومن المعار ومن العوار ، كما اميلت : من حمار، لان الراء في كل هذا كحرفين مكسورين فتقوى لذلك على اجتلابها مجرورة كما قوي على منعها مرفوعة ومنصوبة ... »(٢٥) .

وما رآه ابو علي هذا ، وما استنبطه ، كان سيبويه قد اشار اليه من قبل فله ـ اي سيبويه ـ قصب السبق حينما قال : « واما في الجر ، فتميل الالف ، ان كان اول الحرف مكسورا ، او مفتوحا، او مضموما ، لانها كانها حرفان مكسوران ، فتميل ... »(٢٦) . من هنا نلحظ ان ابا علي كان مسبوقا في هذا الميدان ، ولم يأت باكثر مما نقله عن سيبويه فهو متأثر به ، محترم لرأيه ، مقتد بما توصل اليه .

ومما تغلب فيه الراء الصوت المستعلي ، وتميل الالف معها ، فنحو هذا صارم، وطارد ، وغارب ، وقارب ، وكذلك في كل الاصوات المستعلاة اذا كانت الراء فيها بعد الالف ، حيث تقوى الامالة « اذ كنت انما تضع لسانك في موضع استعلاء ، ثم تنحدر ، فصارت المستعلية بمنزلتها في قفاف »(٢٧) .

ومما تقدم يتضح لنا ان ابا علي لم يات بجديد زيادة على ما جاء به سيبويه وكان ايضا صدى لدراسة الرواد الاوائل في هذا الميدان .

امالة الحروف

الاصل في الحروف ان لا تمال « لان الحروف ادوات جوامد ، غير متصرفة ،

(٢٤) التكملة ٢٢٦ ، وانظر / الكتاب ١٢٧/٤ .
(٢٥) التكملة ٢٢٧ .
(٢٦) الكتاب ١٢٦/٤ .
(٢٧) الكتاب ١٢٦/٤-١٢٧ .

والامالة ضرب من التصرف ...»(٢٨) . وعندي انه لا حاجة بنا هنا لادخال البناء . ولا الاعراب فيما هو متعلق بالامالة . ذلك لانها قضية صوتية تتعلق باللهجات والقراءات اكثر من كونها قضية نحوية معنوية ، او لفظية .

ومهما يكن الامر ، فان ابا علي لم يجز امالة الكثير من الحروف وخاصة«حروف المعاني نحو : إلاّ ، وحتى ، وامّا ... لانها ليست منقلبة عن شيء »(٢٩) . وذلك ـ كما يرى سيبويه ـ انهم لم يميلوا هذه الحروف لانهم « فرقوا بينها وبين الفات الاسماء ... »(٣٠) بيد انهم ـ اي العرب ـ يميلونها اذا سموا بها اسماء . وحينئذ تستوي في الامالة هي ـ اي الحروف ـ والاسماء المبنية. فقد امالوا « أتى » وامالوا حروف المعجم ـ ان نطقت اسماء ـكما امالوا (اذا)في اسم الاشارة. واشترطوا في الاسماء المبنية ان تكون ، مستغنية بذاتها . من اجل ذلك فلم يميلوا (ما) في الاستفهام ، والوصل . ومهما يكن الامر ، فاننا نخلص الى القول في الامالة بانها ليس باصل في كلام العرب ، وانها ظاهرة طارئة (٣١) ، ذلك لانه يجوز تفخيم كل ممال ، ولا يجوز امالة كل مفخم . وايضا فان التفخيم لا يحتاج الى سبب والامالة تحتاج الى سبب .

كماان العرب يختلفون في الامالة وعدمها « فالامالة لغة بني تميم ، والفتح لغة اهل الحجاز . قال الفراء : اهل الحجاز يفتحون ما كان مثل شاء ،وخاف وجاء ،وكاد ، وما كان من ذوات الياء والواو . قال : وعامة اهل نجد من تميم واسد، وقيس يسرون الى الكسر من ذوات الياء في هذه الاشياء ، ويفتحون في ذوات الواو مثل قال ، وجال »(٣٢) .

كماان هؤلاء الذين يميلون ، او الذين لا يميلون من العرب يختلفون في الامالة ، وعدمها لانه « ... ليس كل من أمال الالفات وافق غيره من العرب ممن يميل صاحبه ، ويميل بعض ما ينصب صاحبه ، وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ، ولكن أمره ، وأمر صاحبه ؛ كأمر الاولين فيالكسر، فاذا رأيت عربيا كذلك، فلا ترينه خلط في لفته ولكن هذا من امرهم »(٣٣) . غير أن هذا المال من الكلام العربي ـ كما يرى الفراء ـ « ... كثير ... فمنه ما يكون في كثرة الاستعمال تفخيمه وامالته سواء ، ومنه ما يكون احد الامرين فيه اكثر واحسن »(٣٤) .

ب ـ اصوات الحركات

نود في هذا البحث ان نتعرض الى الحركات من حيث كونها اصواتا ، تؤثر تأثيرا كبيرا على نطق الكلمات . ويجب ان نشير هنا الى اننا كنا قد درسنا فيما مضى ظاهرة الابتداء ، والوقف ، وعلاقتها بالحركة والسكون علىآخر الكلمات(٣٥) .

كما اننا درسنا ظاهرة التذكر والوصل(٣٦) من قبل . وظاهرة البناء والاعراب(٣٧) ايضا . ونواصل فيهذا البحث دراستنا عن الحركات بشكل اخر فنقول : ان الحركات على نوعين : الاول : حركات الاعراب والبناء . والثاني : حركاتالتتابع. اي تلك التي تتابع مع حروف الكلمة من ابتداء النطق بها حتى انتهائه . وذلك لغرض ، ضبط النطق الصوتي . واحيانا تتصل هذه الحركات بالكلمات في حال اتصالها ، او انفصالها . ويقصد من كل ذلك جريان اصواتهابتآلف يؤدي الى الخفة، والسهولة على النطق.اذن فالغرضالاساسمن هذه الحركات هو غرض صوتي بحت .

وقد بحث ابو علي هذه النواحي جميعا بتفصيل مسهب سواء في كتبه الخاصة ، مثل الشيرازيات ، والعسكريات ، وافسام الاخبار ، والعضديات ، والبصريات ، أم فيما نقله تلاميذه عنه ، واخص منهم بالذكر (ابا عثمان آبن جني) حيث قال متحدثا عن الساكن والمتحرك من الكلمات « ... كان ـ لابي علي ـ رحمه الله ـ مسألتان طويلة قديمة ، وقصيرة حديثة كلتاهما في الكلام على الحرف المبتدا . ايمكن ان يكون ساكنا ام لا. فقد غنينا بهما ان نتكلف نحن شيئا عن هذا الشرح في معناهما »(٣٨) . اذن كان ابو علي متتبعا لظاهرتي السكون والحركة ، والوقف

(٢٨) شرح المفصل ٦٥/٩ . وانظر / شرح ابن عقيل ١٨٩/٤ و « في الدراسات القرانية واللغوية » ٢٤٨ـ٢٥٤ امالة بعض الحروف) .
(٢٩) التكملة ٢٢٦ .
(٣٠) الكتاب ١٢٥/٤ .
(٣١) انظر / شرح المفصل ٥٤/٩ .
(٣٢) انظر / شرح المفصل ٥٤/٩ .
(٣٣) الكتاب ١٢٥/٤ .
(٣٤) شرح المفصل ٥٤/٩ .
(٣٥) انظر / الشيرازيات ١٩٥/١ـ٢٠٢ .
(٣٦) انظر / قطرب ومنهجه اللغوي والنحوي /٣٢ .
(٣٧) العسكريات ٥٣ـ٦١ .
(٣٨) الخصائص ٣٢٩/٢ .

والابتداء ـ هذا ما اشار اليه تلميذه ـ اذ لم يكن ـ اي ابن جني ـ اكثر من كونه شارحا وموضحا لما جاء به استاذه . وقد نجد من دراسات ابي علي عن الحركات الكثير في مختلف مصنفاته العديدة ، وفيما نقله عنه تلاميذه وسوف نقتصر في بحثنا هذا على ما ياتي !

١ ـ نشوء الحركات عند ابي علي .

يرى ابو علي ان الحركة تحدث مع الحرف ، مخالفا الكثير من العلماء ممن تقدموه وعاصروه ، وجاءوا من بعده. قائلا : ان الدليل « ... على ان الحركة تحدث مع الحرف بان النون الساكنة اذا تحركت زالت عن الخياشيم الى الفم ، وكذلك الالف اذا تحركت ، انقلبت همزة فدل ذلك ـ عنده ـ على ان الحركة تحدث مع الحرف وهو لعمري استدلال قوي ... »(٣٩) . وهذا النص يقوي راي من يرى ـ ممن كان ابو علي على مذهبهم ـ حدوث الحركة مع الحرف ذلك لان النون الساكنة يكون مخرجها متساوقا مع حروف الفم من الانف ، بينما يكون مخرج النون المتحركة من الفم « فلو كانت حركة الحرف تحدث من بعده ، لوجب ان تكون النون المتحركة ايضا من الانف »(٤٠) .

ومذهب ابي علي هذا ثالث مذاهب ثلاثة . الاول : يرى ان الحركة تحدث قبل الحرف ، وعليه ابن جني واجماع النحاة ، والثاني : يرى انها تحدث بعد الحرف وعليه سيبويه (٤١) . وعلى هذا فأصل الحرف ـ عنده ـ مبني اساسا على الحركة ، والحرف الساكن هو عارض . اذن فالاصوات كلها متحركة ، او يمكن تحريكها ـ الا الالف والمدة ـ والساكن ايضا يكون على « ... ضربين : ساكن يمكن تحريكه ، وساكن لا يمكن تحريكه . الاول ا منهما جميع الحروف الا الساكنة المدة . والثاني : هو عده الالف : نحو الف كتاب ، وحساب ، وباع ، وقام . والحرف الساكن الممكن تحريكه على ضربين : احدهما ما يبنى على السكون ، والاخر ما كان متحركا ثم سكن ... »(٤٢) . وهذا يدل على ان اللغة مبنية في تواصلها على اساس التخالف بين السواكن والحركات في الحروف والكلمات . وكل ذلك من اجل حلاوة موسيقى الكلمات ، والعبارات ، والجمل .

٢ ـ الحركات التي تقع في حشو الكلمات ، وفي ابتداءاتها ، ونهاياتها هي على نوعين : الحشو والطرف « ... فالحشو كراء : ضرب ، وتاء قتل ... واما الطرف فنحو ... دال احمد ، ويا يضرب ... »(٤٣) .

والمقصود هنا الحركات التي تقع على هذه الحروف، اينما كان موقعها، مما تلزمها الحركات لاننا لا نستطيع ان نبتدي بالساكن ، وحروف النهايات ايضا ـ كالابتداءات ـ يلزمها الحركات لانها ـ اي الكلمات ـ تقع في موقع يقتضيه الاعراب الذي يدل على المعاني بواسطة هذه الحركات . واما في ثنايا الكلمات، فانما تتعاقب الحركات والسواكن طلبا للخفة وجريان موسيقى الاصوات . ومن هنا كان التحريك ، الزم من الوقف لان الوقف حالة عارضة ، والوصل حالة اساسية تقتضي الحركات (٤٤) .

٣ ـ هجوم الحركات على الحركات :

وهذه الظاهرة تكون اما بابدال حركة في حركة اخرى غيرها ، كما في قولك !

الحمد لله : حينما تقول : الحمد لله ، فتكسر (دال) الحمد للمجانسة . واما بنحو من المجانسة مثل ما « ... حكاه ... ابو علي عن ابي عبيدة : انه سمع دعه في جِرْ انْمِه ، وذلك انه نقل ضمة الهمزة ـ بعد ان حذفها على الراء ، وهي مكسورة ، فنفى الكسرة ، واعقب منها ضمة ... »(٤٥) .

اذن هذا الاتجاه ـ في التعامل مع الحركات ـ يرجع الى التجانس بينها حتى نتمكن من ان نقدم نطقا سهلا ، ونغما جميلا ، تميزت به العربية عن غيرها من الكثير من اللغات العالمية . من هنا نفهم يكرهون الخروج من الكسر الى الضم ـ اي من الانحدار الذي هو جزء من الياء الى الضم الذي هو شيء من التفخيم . وهم ايضا يفرون من الثقيل المستكره الى الثقيل المقبول . وعلى هذا كان « ... استكراههم الخروج من كسر الى ضم بناء لازما ، فليس ذلك شيئا راجعا الى الحروف ، وانما هو استثقال منهم للخروج من تثقيل الى ما هو اثقل منه . وانت لو رمت ان تاتي بكسرة ، او ضمة ، قبل الالف ، لم تستطع ذلك البتة وكذلك

---

(٣٩) سر صناعة الاعراب ٢٧/١ .
(٤٠) الخصائص ٢٣٤/٢ .
(٤١) انظر / الخصائص ٢٢٢/٢ .
(٤٢) الخصائص ٢٢٧/٢ .
(٤٣) الخصائص ٢٢١/٢ .
(٤٤) انظر / الشيرازيات ١٩٥/١ـ٢٠٢ ، والخصائص ٢٢٤/٢ .
(٤٥) الخصائص ١٤١/٣ .

لوتكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة ، او الضمة قبل الياء الساكنة المفردة ، لتجشمت فيه مشقة ، وكلفة لا تجدها مع الحروف الصحاح»(٤٦)

٤ ـ مطل الحركات واشباعها :

لقد مد العرب الحركات في كثير من كلامهم في النثر والشعر . وفي حال الاتساع او الضرورة، في اللهجات والقراءات فاشبعوا الفتحة الفا ، والكسرة ياء ، والضمة واوا ، وقد تأمل ابو علي في هذه الظاهرة ، واشار اليها في كثير من مؤلفاته. وربما كتب عنها شيئا طريفا كالذي كتبه في باب « ما كان من كلامهم شاذا » في مسائله العسكريات. وقد نقل عنه تلميذه ابن جني طرفا من هذه الاشارات تتعلق في مطل الحركات قائلا : « ... فعلت العرب ذلك ـ حيث ـ انشأت عن الحركة من جنسها فتنشيء بعد الفتحة (الالف) ، وبعد الكسرة (الياء) ، وبعد الضمة (الواو) . فالف المنشأة عن اشباع الفتحة ما انشدناه ابو علي لابن هرمة يرثي ابنه :

فانت من الغوائل حين ترمي
ومن ذم الرجال بمنتزاح

اراد بمنتزح . وانشدنا ايضا لعنترة :

. . . . . ينباع من ذفرى غضوب جسرة

اراد : ينبع .

ومن اشباع الكسرة ومطلها ما جاء عنهم من (الصباريف)و (المطافيل) والخضر الجلاعيد»(٤٧)

وانما هي : الجلاعد : جمع جلمد وهو الشديد.

ومن مطل الضمة قول الشاعر :

وانـي حيث ما يشري الهوى بصري
من حيث ما سلكوا ارنو فانظور (٤٨)

من هنا فان الاشباع ظاهرة لغوية تتعلق باللهجات العربية ، والقراءات ، وليست قضية اعرابية كما يتوهم الكثير من النحاة (٤٩) . كان قد فطن اليها ابو علي ، وعالجها بمنطق علمي واقعي يتفق مع النطق العربي .

ونخلص من ذلك كله الى ان ابا علي كان عالما لغويا متميزا في عصره ، جمع اشتات الدراسات اللغوية ، وجعل منها علما مستقلا بذاته توارثه عنه فيما بعد تلميذه ابن جني الذي طور هذا العلم وجعله ممهدا للدارسين من بعده ، على مر السنين.

(٤٦) سر الصناعة ٢١/١ .
(٤٧) العضديات /٨٨ ا . والاشباه والنظائر ١٦٢/١ـ١٧٢ .
(٤٨) انظر / شرح المفصل ١٠٦/١ ، والانصاف ٢٤/١ .
(٤٩) انظر / الانصاف ٢٤/١ .

اهم المصادر والمراجع

١ ـ اسماء الاشارة بين العربية واللغات السامية (دراسة مقارنة) ـ رسالة ماجستير ـ علاء الدين هاشم ـ جامعة عين شمس (كلية الآداب) ١٩٨١ م .

٢ ـ الاشتقاق ـ عبدالله امين ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ الطبعة الاولى القاهرة ١٩٥٦ م .

٣ ـ الاشباه والنظائر ـ جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) ـ تحقيق طه عبدالرؤوف سعد ـ مطبعة شركة الطباعة ـ مصر ١٩٧٥ م .

٤ ـ اشتقاق اسماء الله ـ ابو القاسم الزجاجي (٣٣٧ هـ) ـ تحقيق الدكتور عبدالحسين المبارك ـ مطبعة النعمان ـ النجف ١٩٧٤ م .

٥ ـ الانصاف في مسائل الخلاف ـ ابن الانباري (عبدالرحمن محمد بن محمد ٥٧٧ هـ) تحقيق محيي الدين عبدالحميد ـ مطبعة السعادة ـ ط ٤ ـ مصر ١٩٦١ م .

٦ ـ الايضاح العضدي ـ ابو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) ـ تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة دار التاليف ـ مصر ١٩٦٩ م .

٧ ـ الايضاح في علل النحو ـ ابو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ) تحقيق مازن المبارك ـ مطبعة المدني ـ مصر ١٩٥٩ م .

٨ ـ تاريخ اللغات السامية ـ ا . ولفنسون ـ دار العلم ـ بيروت ١٩٨٠ م .

٩ ـ التكملة لابي علي الفارسي (٣٧٧هـ) ـ تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود ـ الطبعة الاولى ـ الرياض ١٩٨١م .

١٠ـ حاشية الصبان / شرح الاشموني على الفية ابن مالك ـ دار احياء الكتب العربية ـ مطبعة عيسى الحلبي ـ مصر .

١١ـ الجمهرة لابن دريد محمد بن الحسن (٣٢١هـ) ـ دار صادر ـ بيروت .

١٢ـ الخصائص ـ ابو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ) ـ تحقيق محمد علي النجار ـ ط٢ ـ مطبعة دار الهدى ـ بيروت .

١٣ـ الخليل بن احمد الفراهيدي ـ مهدي المخزومي ـ مطبعة الزهراء ـ بغداد ١٩٦٠ م .

١٤ـ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ـ الدكتور حسام سعيد النعيمي ـ دار الطليعة ـ بغداد ١٩٨٠ م .

١٥ـ دراسات في اللغة ـ الدكتور ابراهيم السامرائي ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦١ م .

١٦ـ دلالة الالفاظ ـ الدكتور ابراهيم انيس ـ الطبعة الثالثة ـ المطبعة الفنية الحديثة ـ مصر ١٩٧٦ م .

١٧ـ سر صناعة الاعراب ـ ابن جني (٣٩٢هـ) ـ تحقيق مصطفى السقا واخرين ـ مطبعة الحلبي ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٩٥٤ م .

١٨ـ شرح ابن عقيل (بهاء الدين عبدالله ٧٦٩ هـ) ـ تحقيق محيي الدين عبدالحميد ـ مطبعة السعادة ـ الطبعة ١٦ ـ مصر ١٩٦٤ م .

١٩ـ شرح المفصل لابن يعيش (علي بن يعيش (٦٤٣هـ) ـ دار الطباعة المنيرية ـ مصر ١٩٦٨ م .

٢٠ـ الصاحبي في فقه اللغة ـ ابو الحسين احمد بن فارس (٣٩٥هـ) ـ تحقيق مصطفى الشويمي ـ بيروت ١٩٦٣م .

٢١ـ العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب ـ الشيخ ناصف اليازجي ـ المطبعة الادبية ـ ١٣٠٥ هـ .

٢٢ـ العين ـ الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) ـ تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ـ ـ طبع وزارة الثقافة والاعلام ـ ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢ .

٢٣ـ الفارسي ومذهبه اللغوي في الشيرازيات ـ الدكتور علي جابر المنصوري ـ بحث في ـ مجلة كلية الامام الاعظم ـ العدد) ـ ١٩٧٨ .

٢٤ـ الفعل زمانه وابنيته ـ الدكتور ابراهيم السامرائي ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٦ م .

٢٥ـ في الدراسات القرانية واللغوية ـ الدكتور عبدالفتاح شلبي ـ مطبعة دار النهضة ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٧١ م .

٢٦ـ قضايا في علم اللغة ـ الدكتور محمود فهمي حجازي ـ محاضرات ـ طبع رونيو ـ القاهرة ١٩٧٧ م .

٢٧ـ قطرب ومنهجه النحوي واللغوي ـ الدكتور علي جابر المنصوري ـ بحث مستل ـ مجلة كلية الشريعة ـ العدد ٧ ـ ١٩٨١ م .

٢٨ـ قواعد اللغة العربية ـ وليم رايت ـ مطبعة جامعة كمبرج ـ الطبعة الثالثة ـ انكلترا .

٢٩ـ الكتاب ـ سيبويه (١٨٠هـ) ـ تحقيق الدكتور عبدالسلام هارون ـ عالم الكتب ـ بيروت .

٣٠ـ اللغة العربية (معناها ومبناها) ـ الدكتور تمام حسان ـمطابع الهيئة المصرية ـ القاهرة ١٩٧٣ م .

٣١ـ لسان العرب ـ ابن منظور (محمد بن مكرم) ـدار صادر ـ بيروت ١٩٥٥ م .

٣٢ـ اللغة ـ فندريس ـ تعريب عبدالحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص ـ مطبعة لجنة البيان العربي ـ القاهرة ١٩٥٠ م .

٣٣ـ المخصص ـ ابن سيده (ابو الحسن علي بن اسماعيل ٤٥٨ هـ) مطبعة المكتب التجاري ـ بيروت .

٣٤ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطبرسي (الفضل بن الحسن) ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

٣٥ـ المحكم والمحيط الاعظم ـ ابن سيده (٤٥٨ هـ) ـ تحقيق مصطفى السقا والدكتور حسين نصار ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة الحلبي ـ مصر ١٩٥٨ م .

٣٦ـ مدرسة الكوفة ـ الدكتور مهدي المخزومي ـ مطبعة الحلبي ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٥٨ م .

٣٧ـ المزهر ـ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ـ تحقيق احمد جاد المولى ـ دار احياء الكتب العربية ـ الطبعة الثالثة ـ مصر .

٣٨ـ المسائل البصريات لابي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) ـ مخطوط ـ مكتبة شهيد علي ٢/٢٥١٦ .

٣٩ـ المسائل الشيرازيات لابي علي الفارسي (٣٧٧هـ) ـ رسالة دكتوراه ـ علي جابر المنصوري ـ جامعة عين شمس (كلية الاداب) ـ القاهرة ١٩٧٦ .

٤٠ـ المسائل العسكريات لابي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) تحقيق الدكتور علي جابر المنصوري ـ مطبعة الجامعة ـ الطبعة الاولى والثانية ـ بغداد ١٩٨٢ م .

٤١ـ المسائل المضديات لابي علي الفارسي (٣٧٧هـ) ـ تحقيق الدكتور علي جابر المنصوري ـ طبع على الالة الكاتبة ـ بغداد ١٩٨٤ م .

٤٢ـ المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات ـ لابي علي النحوي (٣٧٧ هـ) ـ تحقيق صلاح الدين عبدالله السنكاوي ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٨٢ م .

٤٣ـ مشكلات في التاليف اللغوي ـ الدكتور رشيد العبيدي ـ مطبعة دار الجاحظ ـ بغداد ١٩٨١ .

٤٤ـ المعرب من الكلام الاعجمي ـ ابو منصور الجواليقي « موهوب بن أحمد ٥٤٠ هـ » مطبعة دار الجاحظ ـ بغداد ١٩٨١ م .

٤٥ـ مغني اللبيب ـ ابن هشام (عبدالله جمال الدين بن يوسف ٧٦١ هـ) ـ تحقيق احمد محمد شاكر .

٤٦ـ مقدمة ابن خلدون ـ ابن خلدون ـ مطبعة الكشاف بيروت

٤٧ـ المقتضب ـ المبرد (محمد بن يزيد ٢٨٥هـ) ـ تحقيق عبدالخالق عضيمة ـ مطبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ـ القاهرة ١٣٨٨ هـ .

٤٨ـ المنصف ـ ابن جني (عثمان بن جني ٣٩٢ هـ) ـ تحقيق ابراهيم مصطفى وعبدالله امين ـ مطبعة الحلبي ـ الطبعة الاولى ـ مصر ١٩٥٤ م .

٤٩) الوجيز في فقه اللغة ـ محمد الانطاكي ـ المطبعة الحديثة ـ حلب ١٩٦٩م .